الـمقدّمة

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

أمّا بعد:

فإِنَّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدْي هدْي محمّد -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلَّ محدَثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النّار.

وبعد، فإِنَّ لاميّة ابن الورْديّ -رحمه الله- مِن أَهم القصائد التي يَحسُن بالنّاس الاطلاع عليها على مختلف معارفهم وثقافاتهم ودراساتهم؛ لِما احتوته مِن الدُّرر

---

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) النساء: ١.

(٣) الأحزاب: ٧٠-٧١.

والفوائد والعِبر، فقد دعت إلى تقـوى الله -سـبحانه-، والتواضـع وطلـب العلـم والتّفَقُّه في الدين، ونظم الشِّعر، وتجميل المنطق بالنحو، وتزكية النفـوس، وذكّـرت بالمـوت.

كـما دعــت إلى تــرك المنكـرات؛ كـالخمر والمسـكرات، وذمّ الأغـاني وقبـيح الذكريات، وعدم الاغترار بالمظهريّات، وبيّنت آداب التعامل مع السلطان بإجمـال، وكذا آداب الزيارة...إلى غير ذلك مِن جوامع الخيرات والبِر والإحسان.

ولا بدّ لطُلاب العِلم مِن تدريس هذه اللاميّة الرائعة؛ لتنمية الوازع الشــرعي، والحسّ الأَدبي.

وللأمانة العلميّة أقول: لقد استفدت كثيراً مِن الأدلـة والنصـوص والأشـعار مِن كتب الشروح السابقة؛ مثـل «العَـرْف النِّـدِّيّ» للشـيخ الغمـري -رحمـه الله-، و«فتح الرحيم الرحمن» للشيخ القناوي -رحمه الله-، و«العطـر الـورْديّ» للـدكتور مصطفى مخدوم -حفظه الله تعالى-.

ولا بُد لي مِنَ الإشادة بجهد الدكتور مخدوم في كتابه، ومـا تضـمّن مِـن شروح مفيدة وتوجيهات سديدة؛ نفع الله به وجعله في ميزان حسناته، وكذا كلّ من أسـهم في هذا الباب وغيره مِن أبواب الخير.

وقد توسّطْتُ في شـرحي هـذا فلـم أختـر الإطالـة؛ اختصـاراً للوقـت ودفعـاً للملالة.

ولم أصطفِ الاختصار دفعـاً للتقصـير والإِخـلال، سـائلاً المـولى -ذا الإِكـرام والجلال- أن يوفِّقنا لصالح الأَعمال.

ومِن أسباب هذا التوسّط؛ أنَّ الله -عزّ وجلّ- قد وفقني إلى تحقيق مخطوطة «العَرْف النِّدِّيّ في شرح لاميّة ابن الورْديّ» للشيخ عبد الوهاب الغَمْري -رحمه الله- ومقابلتها على نسخ عديدة وما يتبع ذلك من تخريج ودراسة...إلخ.

ولم أعْزُ الأشعار إلى قائليها في كثير مِنَ المواطن اختصاراً للوقت، علماً بأنني فعلت هذا في تحقيق مخطوطة «العرف النِّدي».

أسأل الله -عزّ وجلّ- أَن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، إِنّه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

وكتب:

حسين بن عودة العوايشة

عمّان في ٧/ ١١/ ١٤٣٣هـ

تعريف بناظم القصيدة

اسمه ونسبه:

ابن الورْديّ هو الشيخ عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس أبـو حفـص زين الدين بن الورْديّ المعرّي الكِنْدي.

يَرجع نَسَبُه إِلى أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- كما قال في لاميّته:

نسبـي إذ بأبـي بكـرٍ وصَـلْ	مـع أنّـي أحمـد الله علـى

مولده ونشأته:

ولد بمعرَّة النعمان بالشام زمن المماليك، عام ٦٩١هـ[١]، *نشـأ بحلـب وتفقَّـه بها ففاقَ الأقران؛ وكان ينوب في الحكم في كثيـرٍ مِن معاملات حلـب، ووَلي قضـاء منبج*[٢]، ثم أعرض عن ذلك؛ وحلف ألّا يلي القضاء لمنـامٍ رآه[٣]، ولـه أبيـات في ذم تولِّي القضاء والتحذير منه؛ كما قال في لاميَّته هذه:

رغبـةً فيـكَ وخـالِفْ مَـنْ عَـذَلْ	لا تـلِ الحكـم وإِن هُـم سألـوا
وَلِـيَ الأَحكـامَ هـذا إِنْ عـدلْ	إِنَّ نصـف النـاس أعـداءٌ لمـن
وكِـلا كَفَّيْـهِ فـي الحشـرِ تُغَـل	فـهـو كالمحبـوسِ عـن لـذّاتـه

صفاته وما جاء في الثناء عليه:

قال ابن العماد: «كان إِماماً بارعاً في اللغـة والفقـه والنحـو والأدب، متفننـاً في

(١) انظر «الأعلام» (٥/ ٦٧).

(٢) ما بين نجمتين من «الدرر الكامنة» (٣/ ١٩٥).

(٣) انظر «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» لنعمان بن محمد الألوسي، (ص٥١).

العلم ونَظْمِه في الذروة العليا والطبقة القصوى، وله فضائل مشهورة»[1].

«وكان الشيخ زين الدين عمر بن الوَرْديّ رجلاً صالحاً، كثير الخيرات، حَسَنَ الخُلُق، سيد شعراء عصره، جَمَع في شِعْره بين الحلاوة والطلاوة والجزالة، له مقامٌ عظيمٌ عند الناس، ومهابته كثيرة لـِما كان عليه مِن الزُّهد والورَع والخشية والخوف مِن الله -تعالى-، برَعَ في العلوم، وصنَّف تصانيف حميدة، ونظَم فيها منظومات فائقة مجيدة»[2].

ووصفه الزِّرِكْلي بقوله: «شاعر، أديب، مؤرّخ»[3].

وقال ابن حجر: «الفقيه الشافعي الشاعر المشهور»[4].

وقال عنه السُّبْكِي: «الشيخ الفقيه الأديب النحوي زين الدين ابن الوَرْديّ»[5].

قال ابن حجر: «وأُقسِم بالله لم يَنْظم أحد بعده الفقه إلاّ قصّر دونه»[6].

وشِعْرُه رقيق عذب، قال ا لسُّبْكي في وصْفِه: «أحلى مِن السكر المكرّر، وأغلى قيمة مِنَ الجوهر»[7].

وقال ابن شاكر الكتبي: «نَظْمه جيد إلى الغاية، وفَضْلُه بلغ النهاية»[8].

---

(١) «شذرات الذهب» (٨/ ٢٧٥).

(٢) انظر «فتح الرحيم الرحمن» (ص٥).

(٣) انظر «الأعلام» (٥/ ٦٧).

(٤) انظر «الدرر الكامنة» (٣/ ١٩٥).

(٥) انظر «طبقات الشافعية الكبرى» (١٠/ ١٨٧) لعبد الوهاب السُّبْكي.

(٦) انظر «الدرر الكامنة» (٣/ ١٩٥).

(٧) انظر «طبقات الشافعية الكبرى» (١٠/ ٣٧٤).

(٨) انظر «أعيان العصر وأعوان النصر» (٣/ ٦٧٥).

وقال الصفدي عن شِعْرِه: «أَسْحرُ مِنْ عُيُون الغيدِ، وأبهى مِنَ الوجنات ذوات التوريد»[1].

وله قصيدة يَرْثي بها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- تدلُّ على إنصافه وحُسن أخلاقه، يقول فيها:

تقي الدين أحمد خير حَبرٍ ... خُروق المعضِلاتِ به تُخاطُ
توفّي وهْوَ محبوسٌ فريدٌ ... وليس له إلى الدنيا انبساطُ
قضى نحباً وليس له قرينٌ ... ولا لنظيرهِ لُفَّ القِماطُ[2]
فريدٌ في ندا كفٍّ وعِلْمٍ ... وحلَّ المُشْكِلات به يُناطُ
هُمُ حسدوه لمّا لَمْ ينالوا ... مناقِبَهُ فقد مكروا وشاطوا
وكانوا عن طرائقه كُسالى ... ولكن في أذاه لهم نشاطُ
وحبْسُ الدُّرِّ في الأصداف فخرٌ ... وعند الشيخ بالسجن اغتباطُ
وسَجْن الشيخ لا يرضاه مثلي ... ففيه لقَدْرِ مِثْلِكُم انحِطاطُ
أما والله لولا كَتْمُ سِرّي ... وخوفُ الشَّرِّ لانحلَّ الرباطُ
فما أحدٌ إلى الإنصاف يدعو ... وكل في هواه له انخراط[3]

شيوخه:

أخذ عن القاضي شرف الدين البارزي بحماة.

أخذ عن الفخر خطيب جبرين بحلب.

---

(١) انظر «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (٢/ ٢٧٦).

(٢)خرقة عريضة يُلفُّ بها المولود. «المعجم الوسيط».

(٣) انظر «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» (٢٦).

وكذا عن صدر الدين محمد بن زين الدين عثمان.

تلاميذه:

أحمد بن عبد الله بن محمد الأنصاري، وهو مِن شيوخ ابن حجر العسقلاني.

محمد بن إبراهيم بن بركة العبدلي، ذكر ابن حجر أنه كان يحدّث عن نفسه أنّه أخذ عن ابن الوَرْديّ.

إبراهيم بن عمر الحلبوني.

خليل بن محمد سليمان بن علي الشافعي الحلبي.

أشهر مؤلفاته:

لابن الوَرْديّ مؤلفات كثيرة، مِن ذلك:

*«البهجة الوَرْديّة» وتسمى أيضاً «بهجة الحاوي» في خمسة آلاف بيت وثلاثة وستين بيتاً، نظم فيها «الحاوي الصغير» في فقه الشافعية، (مطبوع).

*«المسائل الملقّبة» في الفرائض، وسمّاها ابن حجر «الرسائل المهذّبة في المسائل الملقّبة».

*«تتمة المختصر في أخبار البشر»، ويعرف بـ «تاريخ ابن الوَرْديّ» جعله ذيلاً لتاريخ أبي الفداء وخلاصة له، (مطبوع، مجلدان).

*«تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة»، نَثَر فيه ألفية ابن مالك في النحو.

*«شرح ألفية ابن مالك».

*«ضوء الدرّة»، على ألفية ابن معطي.

❊«اللُّباب في الإعراب».

❊«تذكرة الغريب»، منظومة في النحو.

❊«مقامات».

❊«منطق الطير».

❊«نصيحة الإخوان ومرشدة الخلّان»، وتُعرَف بـ«لامية ابن الورْديّ» وهي التي نحن بصدد شرحها.

❊«الشهاب الثاقب».

❊«أرجوزة في تعبير المنامات»، ذَكَرَ الزِّرِكْلي أنّها ألفيّة مطبوعة.

❊«ديوان شعر» (مطبوع)، فيه بعض نَظْمه ونَثْره».

❊رسالة بديعة في الطاعون، وأسماها «النبا في الوبا».

❊وله شعر، قال الحافظ ابن حجر: ملكت ديوان شعره في مجلد لطيف[١].

وفاته:

مات في الطاعون العام آخر سنة (٧٤٩هـ)، بعد أن عمل فيه مقامات سمّاها «النبا في الوبا»[٢].

❊❊❊

---

(١) انظر «طبقات الشافعية الكبرى» (١٠/ ١٨٧)، و«الأعلام» (٥/ ٦٧).

(٢) انظر «الدرر الكامنة» (٣/ ١٩٥).

جهودٌ على لاميّة ابن الورْديّ

- **للاميّة ابن الورْديّ شروح كثيرة منها:**

١ -«العَرْف النِّدِّيّ شرح لاميَّة ابن الورْديّ» (مخطوطة) للشيخ عبد الوهاب بن محمد الغمري -رحمه الله- المُتوفّى بعد سنة (١٠٣١هـ)، وقد يسَّر الله لي مقابلتها على عِدّة نُسخ، مع ما يَتبع ذلك مِن الدراسة والتحقيق والضبط والعِناية...، أسأل الله -عزّ وجلّ- أن ييسّر إخراجها.

٢ -«فتح الرحيم الرحمن شرح نصيحة الإخوان ومُرشِدَة الخلاّن»، للشيخ الشريف مسعود بن حسن القناوي -رحمه الله- المتوفى سنة (١٢٠٥هـ) .

٣ -«العِطر الورْديّ شرح لامية ابن الورْديّ»، للدكتور: مصطفى بن كرامة الله مخدوم -حفظه الله-، وهو شرح جميلٌ مُفيد؛ كما أشرت في المقدمة.

٤ -«تفاصيل الجُمل شرح لاميَّة ابن الورْديّ»، للدكتور عبد العزيز الحربي -حفظه الله-، وهو كتاب مختصر ماتع.

- **وهناك تخميسات كثيرة** -والتخميس جَعْل كلّ قطعة مِن المنظوم خمسة شطور- **منها:**

١ -تخميس للشيخ يوسف بن زكريا المغربي -رحمه الله- المتوفى سنة (١٠١٩هـ).

٢ -تخميس للشيخ عبد الرحمن بن يحيى الملّاح المتوفى سنة (١٠٤٤هـ).

***

أبيات لامية ابن الوَرْديّ

١ -اعتــزِلْ ذِكــرَ الأغــاني والغــزَلْ　　وقُــلِ الفَصْــلَ وجانِــب مَــن هَــزَلْ

٢ -وَدَعِ الــذكرى لأيــامِ الصِّــبا　　فلأيــام الصِّــبا نجــمٌ أَفَــلْ

٣ -إنّ أَحــلى عيشــةٍ قضَّيْتَهــا　　ذهبــَت لــذّاتُها والإثــم حَــل

٤ -واتــرك الغــادةَ لا تحفِــلْ بهــا　　تُمْــسِ في عِــزٍّ وتُرفَــعْ وتُجَــل

٥ -والْـهَ عــن آلــةِ لهــوٍ أطربــت　　وعــن الأمــردِ مرتــجِّ الكَفَــلْ

٦ -إنْ تبدّا تنكسفْ شمسُ الضحى　　وإذا مــا مــاس يُــزري بالأســل

٧ -زاد إِنْ قــسناهُ بــالنجم سنــا　　وعـدلنــاه ببــدرٍ فاعتــدَلْ

٨ -وافتكِـرْ في مُنتهـى حُسـن الـذي　　أنــت تهــواهُ تجــدْ أمــراً جَلَــلْ

٩ -واهجـرِ الخمـرةَ إنْ كنـتَ فتـىً　　كيـف يسعى في جنـونٍ مَـنْ عَقَـلْ

١٠ -واتــقِ اللهَ فتقــوى الله مــا　　جـاورَتْ قلـبَ امرىءٍ إلاّ وَصَـلْ

١١ -ليس مَن يقطعُ طُرْقاً[1] بطـلاً　　إنّــما مــن يتــقِّ اللهَ البطــلْ

١٢ -صَـدِّقِ الشـرعَ ولا تـركنْ إلى　　رجـلٍ يرصـدُ فـي اللّيـلِ زُحَـلْ

١٣ -حـارت الأفكـارُ في قُـدْرةِ مَـن　　قـد هـدانا سُبْلَنـا -عـزّ وجـلّ-

١٤ -كَتَـبَ المـوتَ عـلى الخلقِ فكـمْ　　فَـلَّ مِـنْ جمـعٍ وَأفنـى مـن دُوَلْ

١٥ -أيـن نمـرودُ وكنعـانُ ومَـن　　مَلَــكَ الأمــر وولّــى وَعَــزَلْ

١٦ -أيـن عـادٌ أيـن فرعـونُ ومـن　　رفَـع الأهـرامَ مـن يسـمَعْ يَخَـلْ

١٧ -أيـنَ مَـن سـادوا وشـادوا وَبَنَـوا　　هَلَـكَ الكـلُّ ولم تُغْـنِ القُلَـلْ

---

(١) سكَّن الناظم الراءَ ضرورةً، وكذا فعلَ في «سُبْلَنا» فسكَّن الباء في البيت (١٣).

١٨-أينَ أربـابُ الحِجـا أهـلُ النُّهـى	أيــنَ أهــلُ العلــمِ والقـــومُ الأُوَلْ
١٩-ســيُعيدُ اللهُ كـــلاً مِنهُـــمُ	وسيـــجزي فاعـــلاً مـا قـد فعَــلْ
٢٠-أي بُنَـيّ اسـمع وَصَـايا جَمَعَـتْ	حِكَـماً خُصَّـت بهــا خـيرُ المِلَــلْ
٢١-اطلُـبِ العلـم ولا تَكْسَـل فـما	أبعَـدَ الخـيرَ عـلى أهــلِ الكَسَــل
٢٢-واحتفِــلْ للفقـهِ في الـدينِ ولا	تَشْتَغِـــل عنـــه بمـــالٍ وخَـــوَل
٢٣-و اهجُـر النـومَ وحصِّـلْه فَمَــنْ	يَعْـرفِ المطلـوبَ يحقِــرْ مـا بــذَلْ
٢٤-لا تَقُــلْ قــد ذهبـــتْ أربابُـــهُ	كـلُّ مَـنْ سـارَ عـلى الـدربِ وَصَـلْ
٢٥-فازديـادُ العلـمِ إرغـامُ العِــدَا	وجمــالُ العِلـــم إصــلاحُ العَمَـــلْ
٢٦-جَمِّــلِ المنطــقَ بــالنحوِ فمَـــنْ	يُحـرَم الإعـرابَ في النطـقِ اختبـل
٢٧-انظِـــمِ الشــعرَ ولازمْ مــذهبي	فــاطِّراحُ الرِّفــدِ في الدنيـــا أقـــل
٢٨-فهـو عُنـوانٌ عـلى الفضـلِ ومـا	أحســـــنَ الشـــعر إذا لم يُبتَـــذلْ
٢٩-ماتَ أهـلُ الجـودِ لم يبـقَ سـوى	مُقـرفٍ أو مَـن عـلى الأصـلِ اتَّكــلْ
٣٠-أنـــا لا أختـــارُ تقبيـــلَ يـــدٍ	قطـــعُها أجمــلُ مـــن تِلـــكَ القُبَــل
٣١-إن جَزَتني عن مـديحي صرتُ في	رِقِّهـــا أو لا ، فيكفينـــي الخـجـــل
٣٢-أعذبُ الألفـاظِ قـوليْ لـك خُـذْ	وأمـــرّ القـــولِ نُطقـــي بِلَعَـــل
٣٣-مُلْكُ كسـرى عنه تُغْني كسـرةٌ	وعـــن البحــرِ اجتـــزاءٌ بالـوَشَـــل
٣٤-اعتبــرْ «نحـنُ قَسْمنــا بيـنهم»	تَلْـقَـــهُ حقـــاً وبالحـــقِّ نَـــزَلْ
٣٥-ليس ما يحْوي الفتـى مِـنْ عزمِـهِ	لا ولا مـــا فـــاتَ يومـــاً بالكَسَـــلْ
٣٦-واطْـرحِ الـدّنيا فمِـنْ عاداتِهـا	تُخفِـضُ العـالي وتَرْفـعُ مـن سَفَــل
٣٧-عِيشـةُ الزَّاهـدِ فـي تحصيلهـا	عيـــشةُ الجاهـــدِ بـــلْ هـــذا أذلّ

٣٨-كَـم جَهـولٍ وهـو مُثـرٍ مُكْثِـرٌ وعلـيمٍ مـاتَ منهـا بـالـعِلَـلْ

٣٩-كـم شـجاعٍ لم ينـلْ منهـا المُنَـى وجبـانٍ نـالَ غـايـاتِ الأمـلْ

٤٠-فـاتْرُك الحيلـةَ فيـهـا واتَّـئِـد إنّمـا الحيْلـةُ فـي تَـرْكِ الحِيَـلْ

٤١-أيُّ كـفٍّ لم تَنـلْ منهـا المنـى فرمـاهـا اللهُ منـهُ بالـشَّلَـلْ

٤٢-لا تَقُـلْ أصـلي وَفَصْلـي أبَـداً إنّـما أصْـلُ الفَتـى مَـا قـد حَصَـلْ

٤٣-قـدْ يسـودُ المـرءُ مِـنْ غيـرِ أبٍ وبحُسْـن السَّـبك قـدْ يُنفـى الزَّغَـلْ

٤٤-وكـذا الـوردُ مـن الشـوكِ ومـا ينبـت النـرجسُ إلا مِـن بَـصَـلْ

٤٥-مـع أنّي أحمـدُ اللهَ عـلـى نسبـي إذْ بـأبي بكـرٍ وَصَـلْ

٤٦-قيمـةُ الإنسـانِ مـا يُحسِنُـهُ أكـثَـرَ الإنسـانُ منـه أو أقَـلّ

٤٧-أُكـتُمِ الأمـرينِ فَقْـراً وَغِنـىً واكسِـب الفَلْسَ وجانـب مَـن بَطَـل

٤٨-وادّرع جِـدّاً وكَـدّا واجتنـبْ صُـحبَةَ الحمقـى وأربـابِ الخَلَـلْ

٤٩-بـين تبذيـرٍ وبُخْـلٍ رُتبـةٌ وكـلا هذيـن إنْ زادَ قَـتـلْ

٥٠-لا تَخُضْ في سبِّ ساداتٍ مَضَـوا إنّهُـم ليسـوا بأهـلٍ للـزَّلَـلْ

٥١-وتغافَـلْ عـن أمـورٍ إنـه لم يفـز بالحمـد إلا مـن غَفَـل

٥٢-ليس يخلو المرءُ مـن ضِـدٍّ ولـو حـاوَلَ العُزلَـةَ فـي رأسِ جَبَـلْ

٥٣-غِـبْ عـن النـمّامِ وازجـرْهُ فـما بلَّـغ المكـروهَ إلاَّ مَـن نَـقَـل

٥٤-دارِ جـارَ الـدارِ إنْ جـارَ وإنْ لم تجـدْ صـبراً فـما أحلـى النُّقَـلْ

٥٥-جانبِ السُّلْطانَ واحـذَرْ بَطْشَـهُ لا تُعانـد مَـن إذا قـال فَـعَـل

٥٦-لا تـلِ الحُكـمَ وإنْ هـم سألـوا رغبـةً فيـكَ وخالـفْ مَـن عَـذَلْ

٥٧-إنَّ نِصْـفَ النـاسِ أعـداءٌ لمـن وَلِيَ الأحكـامَ هـذا إنْ عـدلْ

٥٨-فهو كالمحبوسِ عن لذّاتهِ وكِلا كَفَّيْهِ في الحشرِ تُغَلّ

٥٩-إن للنقصِ والاستثقالِ في لفظةِ «القاضي» لوَعْظاً و مَثَلْ

٦٠-لا تُوازَى لذَّةُ الحكم بما ذاقَهُ الشخصُ إذا الشخصُ انَعَزلْ

٦١-فالولاياتُ وإن طابتْ لِمَنْ ذاقَها فالسمُّ في ذاك العَسَلْ

٦٢-نَصَبُ المنصِبِ أَوْهَى جَلَدي وعنائي مِن مداراةِ السّفلْ

٦٣-قصِّرِ الآمالَ في الدُّنياَ تفُزْ فدليلُ العقلِ تقصيرُ الأَمَلْ

٦٤-إِنّ مَن يطلبُه الموتُ على غِرَّةٍ منه جديرٌ بالوَجَلْ

٦٥-غِب وزُر غِبّاً تُزَدْ حُبّاً فَمَنْ أَكثرَ التَّردادَ أَصماه المَلَلْ

٦٦-خُذْ بنصلِ السيفِ واتركْ غِمْدَهُ واعتبرْ فضلَ الفتى دون الحُلَلْ

٦٧-لا يضرّ الفضلَ إقلالٌ كما لا يضرُّ الشمسَ إطباقُ الطَّفَلْ

٦٨-حُبُّكَ الأوطانَ عَجْزٌ ظاهرٌ فاغتربْ تلقَ عن الأهلِ بدلْ

٦٩- فُبمكثِ الماءِ يبقى آسِناً وسُرى البدرِ به البدرُ اكْتَمَلْ

٧٠-أيها العائبُ قولي عَبثاً إنّ طيبَ الوردِ مؤذٍ بالجُعَلْ

٧١-عَدِّ عن أسهُمِ لَفْظي واستَتِرْ لا يصيبنَّكَ سهمٌ من ثُعَلْ

٧٢-لا يغرنَّك لينٌ من فتى إنّ للحيّاتِ ليناً يُعْتَزَلْ

٧٣-أنا مثلُ الماءِ سَهْلٌ سائغٌ ومتى سُخّن أذى وقَتَلْ

٧٤-أنا كالخيزور صَعْبٌ كَسرُهُ وهْوُ لَدْنٌ كيفما شئتَ انفتلْ

٧٥-غيرَ أنّي في زمانٍ من يَكُنْ فيه ذا مالٍ هو المولى الأجلّ

٧٦-واجبٌ عند الورى إكرامُهُ وقليلُ المالِ فيهم يُسْتقَلّ

٧٧-كلُّ أهلِ العصرِ غُمْرٌ وأنا مِنهُمُ فاتْرُكْ تفاصيلَ الجُمَلْ

الشرح

١ -اعتــزِلْ ذِكــرَ الأغــاني والغــزَلْ وقُــلِ الفَصْــلَ وجانِــب مَـــن هَــزَلْ

في بعض النُّسخ: اعتزل ذِكْر الغواني.

والغواني: جمع غانِيَة، سُمّيت بذلك؛ لأنها تستغني بجمالها عن الزينة.

وقال بعضهم: «الغانية: المرأة التي تُطْلَب ولا تَطلُب».

والمعنى: اترك ذِكر النساء والتغزّل بهنّ؛ لأنه يجرّك إلى المعاصي وركوب الأهواء ومعصية الرحمن وطاعة الشيطان.

أَقول: إنّ العشق مِن أدوى الأدواء الفتّاكة؛ لأنّه انشغال عن عبادة الله -عزّ وجل-، قال -تعالى-: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[1]، إنّه ليشغلك عن التفكّر في عظمة الله وآلائه ونعمه، إنه يشغلك عن العلم والتعلُّم، إنّه يشغلك عن العمل بالأركان والفرائض فضلاً عن النوافل والمستحبّات، إنه يشغلك عن الدعوة إلى الله -عزّ وجلّ-.

قال الشاعر:

فـما فـي الأرضِ أشـقى مـن مُحِـبٍّ وإنْ وجَـدَ الهَـوى حُـلـوَ المـذاقِ

تــراهُ باكيـاً فـي كُـلِّ حيـنٍ مَخافَـةَ فُرقَـةٍ أو لِاشتيـاقِ

فَيَبكـي إنْ نـأوا شوقـاً إليهـم ويبكـي إنْ دَنـوا حَـذَرَ الفِـراقِ

فتسخُـنُ عينُـهُ عِنـدَ الفِـراقِ وتَسخُـنُ عَينُـهُ عِنـدَ التَّلاقـي

---

(١) الذاريات: ٥٦.

وقُلِ الفَصل: أي الحقّ، قال -تعالى-: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾[1]، أي: إنّ هذا لقولٌ يَفْصِل بين الحق والباطل ببيانه[2].

وجانِب مَنْ هزَل: مِنَ الهَزْل، ويُطلق على الباطل واللعب والهذَيان.

قال -تعالى-: ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾[3]: أي: وما هو باللعب ولا الباطل.

واعلم -رحمني الله وإياك- أنّ الجديّة مطلوبة -إذ هي الأصل- ولكنْ يُشرَع المزاح بالضوابط الشرعية، وقد ثبت عن النبي ﷺ عدد من المزاحات، منها أنَّ عجوزاً أتت النبي ﷺ فقالت: «يا رسول الله، ادعُ الله أن يُدخلني الجنة، فقال ﷺ: يا أمَّ فلان إنَّ الجنة لا تدخُلُها عجوز، قال: فولَّت تبكي، فقال ﷺ: أخبروها أنها لا تدخُلُها وهي عجوز، إنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ * فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا * عُرُبًا * أَتۡرَابٗا[4]﴾[5]»[6].

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقاً، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير، قال: أحسبه، قال: كان فطيما، قال: فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه، قال: أبا عمير ما فعل النغير[7] قال: فكان

(١) الطارق: ١٣.

(٢) انظر تفسير الإمام ابن جرير «جامع البيان في تأويل آي القرآن».

(٣) الطارق: ١٤.

(٤) عُرُباً: متحبّبات متودّدات إلى أزواجهن، أتراباً: مستويات على سنّ واحدة.

(٥) الواقعة: ٣٥-٣٧.

(٦) أخرجه الترمذي في الشمائل وغيره، وهو حديث حسن، وانظر تخريج «غاية المرام» (٣٧٥).

(٧) النغير: تصغير (النُّغَر): طائر صغير.

يلعب به»[1].

***

٢-وَدَع الـذكرى لأيـامِ الصِّـبا   فلأيـام الصِّـبا نجـمٌ أَفَـلْ

أي: اترك الانشغال بذكر الأوقات الخالية والأزمنة الماضية التي عشتها أيام صباك وشبابك؛ لأنها تلهيك عمّا لأجله خُلِقت، وله وُجدت.

وقوله: «لأيّام الصبا» أي: أنّها كانت في الصّغر، مع ما فيها مِن ضعف الرأي، وقلّة الوعي، فلماذا تجعل حياتك كلها على هذا النحو، وفي الحديث: «مِنْ حُسن إسلام المرء ترْكه ما لا يعنيه»[2].

والمُراد بالذكرى: ذكرى ما لا يُجدي ولا يَنفع، أمّا ذكرى الخير فهي خير ولا شك، وكما قيل: «السعادة تدوم بقَدْرِ ما يذكرها الإنسان».

فمن وُفِّقَ في صِغره للطاعات؛ فليذكر هذا طوال حياته ليحافظ على النشاط وعلوّ الهمم، والطموح إلى الصعود إلى أعالي القمم.

والنهي عن التذكّر؛ لأنّه استمرار في المعاصي والذنوب، ومجلبة للهموم والكروب، وودْعٌ لطلب العِلم والقيام بالواجبات، والسموّ إلى أعلى الدرجات، وترْكٌ للدعوة إلى خالق الأرضِ والسماوات.

***

(١) أخرجه مسلم: ٢١٥٠.

(٢) رواه الترمذي «صحيح سنن الترمذي» (١٨٨٦)، وغيره، وانظر «المشكاة» (٤٨٤٠)، و«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٨١).

٣-إنّ أَحــلى عيشــةٍ قضَّيْتَهـــا   ذهبــَت لـــذّاتُها والإثــم حَــــل

«إنّ أحلى»: في بعض النسخ «إنّ أهنا» أي: أهنأَ.

هذا تعليل للنهي عن الذكرى المشار إليها في البيت السابق.

أي: إنَّ أطيب عيشةٍ قضّيتها، وأَهنا حياةٍ أمضيتها، قد ولَّت لـذَّاتُها وحلّت تَبِعاتُها، وثبتت حَسَراتُها، ووقعت سيئاتُها، ولـذا ينبغي لـك أن تحـذَر مِن خطر ذكرى الأيام التي ركِبتَ فيها الأهواء، واستجلبتَ الأدواء، وأغضبتَ مَنْ في السماء.

قال الشاعر:

ذَهب الشبابُ فما له مِن عودةٍ   وأَتى المشيب فما له مِن مهرب

***

٤-واتــرك الغــادةَ لا تحفِــلْ بهــا   تُمــسِ في عِــزٍّ وتُرفَــعْ وتُجَــلّ[١]

الغادة: الفتاة الناعمة الليّنة.

لا تَحْفِل بها: مِن الاحتفال، وأصل معنى الاحتفال الجمع، والمراد هنا: الاهتمام الزائد.

يُرشد الناظم إِلى ترك الاهتمام بالفتاة الجميلة والناعمة الليّنة، ثمّ بيَّن أنّ هذا سبيلُ العِزّ والرفعة والإجلال في الدارين، وذلك أنّ في طَلَبِ هذه الفتاة، وانشغال القلب بها؛ انجراراً إلى الذلّة والهوان.

قال الشاعر:

---

(١) تُجَل: أي: تعظُم منزلتك.

نـونُ الهـوانِ مِــنَ الهـوى مسـروقــةٌ		فـإذا هويـت فقــد لقيــت هَوانــا

قال القناوي -رحمه الله-: «ولا تَكرارَ بين هذا البيت والبيت الـذي هـو أوّل القصيدة؛ لأنَّ النهيَ هناك عن الذكرِ لها، والتغزُّل بها، وهنا عن طلبها والتعلُّق بها»[١].

وشُرِعَ طلب الفتاة الجميلة في النكاح، وهـو أدْعى لـغضِ البصـر وإِحصان الفـرج، ولكن لا ينبغي إذا تعذّر ذلك ولم يـتيسّر؛ أن يعيقَ الشبابَ عن النكاح.

وفي الحديث: «تُنكَحُ المرأةُ لأربعٍ: لمالِها ولحَسَبِها وجَمَالِها ولِدِينِهَا، فاظْفَرْ بـذاتِ الدّينِ؛ تَرِبَتْ يَداكَ»[٢].

***

**٥-والْـهَ عــن آلــةِ لهــوٍ أطربــت		وعــن الأمــردِ مرتــجِّ الكَـفَــلْ**

**٦-إنْ تبدّا تنكسفْ شـمسُ الضـحى		وإذا مــا مــاس يُــزري بالأســل**

**٧-زاد إِنْ قـــسناهُ بـــالنجم سنـــا		وعـدلنـــــاه ببــــدرٍ فاعتــــدَلْ**

أي: جاهد نفسك لترْك آلات اللهو والطرب وتصبَّر عنها، وتحايَل على نفسـك بالتسلّي عن هذه المنكرات، وقد قال رسول الله ﷺ: «ومَن يتصبَّر يصبِّرْه الله»[٣].

قـال -تعـالى-: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ** ﴾[٤].

الأمْرَد: مَن لم تَنبُت لهُ لحيَة.

(١) انظر «فتح الرحيم الرحمن» (ص٥٨).

(٢) أخرجه البخاري: ٥٠٩٠، ومسلم: ١٤٦٦.

(٣) أخرجه البخاري: ١٤٦٩.

(٤) لقمان: ٦.

الكَفَل: بالتحريك: العَجُز، أي: مؤخّرة الإنسان.

ما ماس: مِنَ الـمَوْس وهو حَلْق الشعر، أو مِنَ الميس: وهو التّبخترُ والميلان في المشي.

يُزري: أي يُعيب.

الأَسَل: المراد هنا كلّ ما رقَّ مِن الحديد وأرهف؛ كالسنان والسيف والسكين(١).

السَّنا: الضوء.

وعدَلناه: أي: سوّيناه.

وتأمّل قول الناظم -رحمه الله-: «والْهَ عن آلةِ لهوٍ أطربت»، مقارِناً بما سيأتي بإذن الله -تعالى- مِنْ قوله: «إنّما الحيلَة في ترْك الحِيَل»، وقولِه:

وتغافل عن أمورٍ إنّه | لم يفُز بالحمد إلا مَنْ غَفَل

فهذه كلُّها تخرج مِن مشكاةٍ واحدة لتزكية النفوس، إذ هي تأمر أن تلهوَ عن اللهو، وتحتال على الحِيَل، وتتغافل عن الغفلة، وهذا كله يحتاج إلى الصبر والمصابرة والجهاد والمجاهدة، وهذا كقوله ﷺ: «ليسَ الشديدُ بالصُّرَعة، إنّما الشديدُ الذي يَمْلِكُ نفسه عند الغَضَب»(٢).

وقد بيّنْتُ بإجمالٍ ما يُشرع مِنَ اللهو في تحقيق «العَرْف النَّدِّيّ شرح لاميّة ابن الورْديّ»، أسأل الله -تعالى- أن ييسِّر إخراجه.

ثم نهى الشاعر عن التعلق بالأمرد -وهو الشاب الذي لم تنبُت لحيته-، وشرع بشيء مِنَ التفصيل، وثنَّى عليه ببعض التمثيل، ممّا قد يساعد المرء في التخييل، فالأولى

---

(١) انظر «غريب الحديث» لابن قتيبة، (مادة أسل).

(٢) أخرجه البخاري: ٦١١٤، ومسلم: ٢٦٠٩.

أن يَـدَع هذه الأقـوال، وأن يترك تفاصيـل الجُمَـل في هذا المجال.

والمقصود مِن كلام الناظم -رحمه الله تعـالى- التغافُـل والتلاهـي عـن الأمـرد الجميل، لدرء الفتنة وما يترتب على ذلك مِنَ المفاسد.

أقول: إنَّ التعلُّق بالأمرد أخطر مِنَ التعلُّق بالنساء -وفي كلٍّ شرّ-؛ لأنّ النكاح ربـما يكـون سـبيلاً إلى المـرأة، ولكـن لا سـبيل إلى الأمـرد -ولا ينبغـي ذلـك- إلاّ بمعصية الرحمن -سبحانه- وطاعة الشيطان.

ويَجدرُ التذكير بما حلّ بقومِ لوطٍ مِن أليم العذاب، وشديد العقاب.

***

٨-وافتكِـرْ في مُنتهـى حُسـن الـذي أنـتَ تهـواهُ تجـدْ أمـراً جَلَـلْ

يعني: إذا تدبّرتَ فيما يؤول أمْر مَنْ تهواهُ وما سيصير إليه؛ مِـنَ الشـيخوخة والوفـاة، ثمّ كيف يكون جيفةً قَذِرة، وذا رائحة نتنة، فما كان في أشدّ الملاحة صار في غايـة القباحـة، فإذا تدبّرت في ذلك انتهيتَ إلى اعتقادٍ عظيم، وسلوك قويم؛ وهو أنّ هذا الحُسن سـيفنى، وأنّ الأماني والأحلام عليه لا تُبنى، فاشغل نفسك بالجمال الخالد، لا بالجمال البائـد.

قال الله -تعالى- في وصف نسـاء أهـل الجنـة: ﴿**فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ**﴾[(١)]، وهـي المرأة الصالحة الحسنة الخُلق، الحسنة الوجه.

وقال -تعالى-: ﴿**وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ**﴾[(٢)].

وفي الحديث: «لو أنّ امرأةً مِن نساء أهل الجنة اطّلعـت إلى الأرض؛ لأَضـاءَت

---

(١) الرحمن: ٧٠.

(٢) الواقعة: ٢٢-٢٣.

ما بينهما، ولَمَلأَتْ ما بينهما ريحاً، ولَنَصيفُها -يعني الخمار- خيرٌ مِن الدنيا وما فيها»[١].

وافتتاح باب التفكّر، ونافذة التدبّر في منتهى حُسن المحبوب، وخاتمة أمر المرغوب؛ كيلا يتعلّق القلب بغير حُبّ الله -عزّ وجلّ-.

وكلّ حُبٍّ مشروع؛ فإنه تَبَعٌ لحُبِّ الله -عزّ وجلّ- كحُبِّ الأبوين والزوجة والأبناء...ونحو ذلك.

وفي البيت تحذيرٌ مِنَ الهوى، قال -تعالى-: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٢].

قال بعضهم: «وإنّما سُمّي الهوى هَوى؛ لأنه يَهوي بصاحبه إلى ما لا مُراد لَه فيه».

وفي الحديث: «ثلاثٌ مهلكات وثلاثٌ منجيات، فقال: ثلاثٌ مهلكاتٌ: شُحٌّ مُطاع[٣]، وهوىً مُتَّبعٌ، وإعجابُ المرءِ بنفْسِه[٤]، وثلاثٌ منجياتٌ: خَشيةُ الله في السرِّ والعلانية، والقصد في الفقر والغنى[٥]، والعدل في الغَضَبِ والرضى»[٦].

***

(١) أخرجه البخاري: ٦٥٦٨، ومسلم: ١٨٨٠، بلفظ: «لغدوة في سبيل الله أو روحة؛ خير مِن الدنيا وما فيها».

(٢) سورة ص: ٢٦.

(٣) شُحٌّ مطاع: أي بُخْلٌ يطيعه الناس؛ فلا يؤدّون الحقوق.

(٤) إعجاب المرء بنفسه: أي تحسين كلّ أحدٍ نفْسَه على غيره وإن كان قبيحاً، قال القرطبي: «وإعجابُ المرء بنفسه: هو ملاحظته لها بعين الكمال مع النسيان لنعمة الله، والإعجابُ: وجدان شيء حَسَناً». «فيض القدير» (٣/ ٣٠٧).

(٥) أي: التوسط فيهما. «فيض القدير» (٣/ ٣٠٦).

(٦) رواه البزّار والطبراني في «الأوسط» وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (١٨٠٢).

٩-واهجـرِ الخمـرةَ إنْ كنـتَ فتـىً كيـف يسـعى في جنـونٍ مَـنْ عَقَـلْ

أي: اترك الخمرة وتجنَّبها إن كنتَ فتىً؛ أي: شابّاً قويّاً حاذقاً كـاملاً مسـتجمعاً لخصال الكمال[١].

وقوله: «كيف يسعى في جنونٍ مَنْ عَقَلْ» يعني أنّ مِن شأن العقل رفـضَ سـبيل المجانين، فإذا كان كذلك فلتُهجر الخمر؛ لأنّها تفضـي إلى ذلك.

وكيف تكون سبباً في ذَهاب العقل واستجلاب الجنون؛ وهذا استفهامٌ إنكـاريّ، إذ لا أحد يسعى في الجنون، ولكن أمَا درى شارب الخمر أنه للجنون دائم السعي، شديد البغي؟!

عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «الخمرُ أُمُّ الخبائث»[٢].

وفي الحديث: «الخمر أُمُّ الفواحش، وأكبر الكبائر، مَـنْ شَرِبهـا وقَـع عـلى أمّـه وخالته وعّمته»[٣].

وما أجمل ما نقله الدكتور عبد العزيز الحربي -حفظه الله- مِن كتاب «الأخلاق والسيّر» عن الإمام ابن حزم -رحمه الله- قال: «ما رأينا شيئاً فَسَـد فعـاد إلى صِـحّته إلاّ بعد لأْيٍ[٤]، فكيف بدماغ يتوالى عليه فسـادُ السُّـكْرِ كـلَّ ليلـة، وإنَّ عقـلاً زيَّـن لصاحبه تعجيلَ إفسادِه كُلَّ ليلة، لعَقْلٌ ينبغي أن يُتَّهَم»[٥].

***

(١) انظر «فتح الرحيم الرحمن» (٨١).

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» وغيره، وانظر «الصحيحة» (١٨٥٤).

(٣) رواه الطبراني في «لأوسط» و«الكبير»، وانظر «الصحيحة» (١٨٥٣).

(٤) اللأي: الجهد والمشقة.

(٥) انظر «تفاصيل الجمل شرح لامية ابن الوَرْديّ» (ص٣١).

١٠-واتقِ اللهَ فتقوى اللهِ ما جاورَتْ قلبَ امرىءٍ إلاّ وَصَلْ

أي: أطع الله -تعالى- ورسوله ﷺ واتّبع الأوامر، واجتنب النواهي، فإنّك بهذا بالغٌ مرضاة الله -عزّ وجلّ-.

وكلُّ مَن اتَبع الأمر واجتنب النهي؛ فقد جاورَت التقوى قلبه، وصار يَعْبُد الله كأنّه يراه، فإن لم يكن يراه فإنّه -سبحانه- يراه، فيكون حينئذٍ سامعاً بالله، ناطقاً بالله، باطشاً بالله، ماشياً بالله، متحركاً بالله[١].

وهو معنى قوله ﷺ فيما يرويه عن ربّه -عزّ وجلّ-: «مَنْ عَادَى لي ولياً فَقَد آذنتُه بالحرب، ومَا تقرّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه، ومَا يزال عبدي يتقرّب إليَّ بالنوافل حتى أُحبَّه فإذا أحببتُه؛ كنتُ سمْعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويَده التي يبطش بها، ورِجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه...»[٢].

*إن أردتم الخلاص مِن الضيق والكرب والبلاء، وأن تُرزقوا الرزق الحلال، ويُبسَط لكم فيه؛ فاتقوا الله، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا * وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾[٣].

إنْ أردتم أن يجعل الله لكم من أمركم يُسراً وتتخلّصوا من العُسرِ؛ فاتقوا الله، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾[٤].

---

(١) ما بين نجمتين مقتبس مِن «العَرْف النَّدِّيّ» المخطوطة (ورقة: ٣١)، و«فتح الرحيم الرحمن» (ص٩٤).

(٢) أخرجه البخاري: ٦٥٠٢.

(٣) الطلاق: ٢-٣.

(٤) الطلاق: ٤.

إن أردتم أن تكونَ لأمّتكم السيادة والقيادة؛ فاتقوا الله، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1].

إذا أردتم أن تكونوا أكرم الناس؛ فاتقوا الله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2]*[3].

***

١١-ليس مَن يقطعُ طُرْقاً[4] بطلاً إنّما مَن يتَّقِ اللهَ البطلْ

أي: ليست البطولة بقطع الطُّرق، ومَنْع الناس مِنَ المرور فيها، بل إنَّ البطولة في تحقيق تقوى الله -سبحانه-، وأَن يُبطِل هواه، ويُجاهد نفسه، ويَجتنب المناهي.

وهذا مِثْلُ قوله ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ[5]، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»[6].

واعلم بأنّ التقوى -وإنْ قلّ لفظها- كلمة كثيرة المعنى، شاملة لخير الدارين[7].

---

(١) النور: ٥٥.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) ما بين نجمتين مِن كتابي «وصية مودّع» (ص ١٨-١٩).

(٤) الأصل في جمع (طريق) أن تكون (طرُقاً) بضم الراء، وإنما ألجأ الناظمَ إلى تسكينها الوزنُ.

(٥) الصُّرَعة: الذي يصرع الناس.

(٦) أخرجه البخاري: ٦١١٤، ومسلم: ٢٦٠٩، وقد تقدّم.

(٧) ما بين نجمتين مِن كلام القناوي -رحمه الله-: في «فتح الرحيم الرحمن» (ص٩٦).

وقد عرَّفوا التقوى فقالوا:

١-هي: الخوفُ مِنَ الجليل، والعملُ بالتنزيل، والقناعةُ بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

٢-هي: تَرْك ما حرَّم الله، وأداء ما افترض الله، فما رزق الله بعد ذلك؛ فهو خير إلى خير.

٣-هي: ألاَّ يراك حيث نهاك، ولا يَفقدك حيث أمرك، ولهذا قال بعضهم: «إذا أردت أن تعصي الله، فاعصه حيث لا يَراك، واخرج مِن داره، وكُلْ رزقاً غيرَ رزقه».

***

١٢-صَدِّقِ الشرعَ ولا تركنْ إلى رجلٍ يرصدُ في اللّيلِ زُحَلْ

الشرع والشريعة: هو ما شرَع الله لعباده مِنَ الدين؛ أي: سَنَّه لهم، وافترضَه عليهم، يُقال: شَرَع لهم يشرع شرْعاً، فهو شارع، وقد شرع الله -عزَّ وجلَّ- الدين شرعاً؛ إذا أَظهره[1].

ولا تركَن: مِنَ الرُكون، وهو الميل.

يَرصُد: يَرقُب.

زُحَل: هو أحد الكواكب السيّارة في النظام الشمسي، قال الشيخ الغمري -رحمه الله تعالى-: «وتخصيص الناظم -رحمه الله- ذكر الأرصاد بزُحَل؛ ليس بقيد، بل باقي السبعة السيّارة كذلك، وهي: القمر، وعُطارد، والزهرة، والشمس، والمرِّيخ، والمشتري، وزُحل»[2].

---

(١) انظر «النهاية» مادة (شرع).

(٢) مخطوطة «العَرْف النِّدِّيّ» (ورقة: ٣٩).

وقد جَمَعَها أحدهم بقوله:

زُحَـلٌ شَرىَ مرّيـخـه مِـن شَمْسـه فـتـزاهَــرت لعُـطـاردَ الأقمــارُ

يعني: صدِّق ما جاء في الشرع؛ مِن كتاب الله -عزَّ وجـلَّ- وسُـنَّة نبيّـه ﷺ، ولا تصدّق قول المنجِّمين[1] والكُهّان[2] والعَرّافين[3] ونحوهم، قال الله -تعالى-: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[4].

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «سـأَلَ نـاسٌ رسـولَ الله ﷺ عَـن الكُهّـان فقال: ليس بشيء، فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدِّثوننا أحياناً بشـيء فيكـون حقـا، فقال رسول الله ﷺ: تلكَ الكلمة مِنَ الحق يَخطفها مِن الجني فيَقَرُّها[5] في أُذُن وليِّـه،

---

(١) التنجيم: ادّعاء معرفة الأنباء بمطالع النّجوم.

(٢) الكـاهن: الـذي يتعاطـى الخبـر عـن الكائنـات في مسـتقبل الزمـان، ويـدّعي معرفـة الأسرار. «النهاية».

(٣) العرّاف: هو الذي يَستدل على الأمور؛ بأسباب ومقـدّمات؛ يـدّعي معرفتـه بهـا. «شرح النووي على صحيح مسلم».

(٤) النمل: ٦٥.

(٥) وفي رواية: «فيَقَرّها في أُذُنِه قَرّ الدجاجة»، أخرجه البخاري: ٦٢١٣، ومسلم: ٢٢٢٨.

«قال أهل اللغة والغريب: القرُّ: ترديدك الكلام في أُذُن المخاطب حتى يَفهمه، يقول: قررته فيه أُقره قرّاً، وقرّ الدجاجة: صوتها إذا قطعته، يقال: قرت تقـر قـراً وقريـراً، فـإن ردّدتـه؛ قلـت: قرقرت قرقرة، قال الخطابي وغيره: معناه أنّ الجني يقذف الكلمة إلى وليّـه الكـاهن، فتسـمعها الشياطين، كما تؤذن الدجاجة بصوتها صواحبها فتتجاوب، قال: وفيه وجه آخر وهي أن تكون الرواية كقر الزجاجة، تدل عليه رواية البخاري «فيقرهـا في أُذنـه كـما تقـر القـارورة». «شرح النووي على صحيح مسلم».

فيَخلطونَ معها مائة كذبة»[1].

وعن صفية عن بعض نساء النبي -رضي الله عنهن- عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أتى عرّافاً فسأله عن شيء؛ لم تُقْبَل له صلاةُ أربعين ليلة»[2].

قال الشاعر:

مَنْ كانَ يَخشى زُحلاً ... أو كان يَرجو المشتري
فإنّني مِنه -وإن ... كان أبي الأدنى- بَري

وقال آخر:

تُدبِّر بالنجوم ولستَ تدري ... وربُّ النجم يفعل ما يريدُ

***

١٣- حارت الأفكارُ في قُدْرةِ مَن ... قد هدانا سُبْلَنا -عزّ وجلّ-

أي: إنّ العقول دهشت في بديع صُنع الله الذي أتقن كلّ شيء، وذهلت في عَظيم قُدرته، ذلك الله -سبحانه- الذي قد هدى إلى صراط الذين أَنْعمَ -سبحانه- عليهم، وبيَّن السُّبل التي تُبلِغُ رضوانه وجنانه؛ كالإيمان؛ والأركان والواجبات والسنن والمستحبّات، وغير ذلك مِن الأعمال الصالحات.

قال -تعالى-: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[3].

---

(١) أخرجه البخاري: ٥٧٦٢، ومسلم: ٢٢٢٨.

(٢) مسلم: ٢٢٣٠.

(٣) آل عمران: ١٩٠.

فسبحان الأول الذي ليس قبله شيء، والآخِر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، له الحمد كله وله الملك كلّه، وإِليه يُرجع الأمر كُلّه، بديع السموات والأرض، إذا قضى أمراً فإِنّما يقول له: كن فيكون، ربُّ المشارق والمغارب، لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، هو الحي الذي لا يموت والجن والإِنس يموتون.

دهشت الأفكار فيمن قال في حقِّ نفسه العظيمة -سبحانه-: ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[1].

سبحانك ربنا ما أعظمك، لا نحصي ثناءً عليك؛ أنت كما أثنيت على نفسك.

قال الشاعر:

فيا عجباً كيف يُعصى الإلـ ـهُ أم كيف يجحده الجاحدُ
ففي كلّ شيء له آيةٌ تدلّ على أنّه واحدُ

ولله درُ القائل:

الشمس والبدرُ مِن أنوار حِكْمته والبَر والبَحر فيضٌ مِن عطاياهُ
فالطير سبَّحه والزرع قدَّسه والموجُ كبَّره والحوت ناجاهُ
والنمل تحت الصخور الصُّمِّ مجَّدهُ والنحلُ يهتف حمداً في خلاياهُ
ربُّ السماء وربُّ الأرض قد خَضعَت إِنسٌ وجنٌّ وأملاكٌ لِعَلْياهُ
الناس يَعصونه جهراً فيستُرُهم والعبد ينسى وربِّي ليس ينساه

***

(١) لقمان: ٢٧.

١٤-كَتَبَ الموتَ على الخلقِ فكمْ فَلَّ مِنْ جمعٍ وَأفنى من دُوَلْ

فَلَّ من جمعٍ: فرَّق.

والمعنى: كَتَب الله -عزّ وجلّ- الموتَ على الخلق، فكلّ نفسٍ ذائقة الموت، لا يخطئ عظيماً ولا حقيراً، ولا كبيراً ولا صغيراً، ولا غنياً ولا فقيراً، ولا إنساً ولا جاناً، ولا مَلَكاً، ولا طيراً ولا وحشاً، ولا ذُباباً ولا نملاً، ولا غير ذلك مِن كُلّ ما خلق الله -تعالى- وبسبب ذلك الموت الدالِّ على قدرة الله -تعالى- وقَهْرِه لجميع خلْقِه؛ قلَّتِ الجموع، وَخَلَتِ الربوع، فكم فلَّ ذلك الموت مِن جمع وأفنى من دول! فأين أهل المدن والحصون؟ أين أهل المعاني والفنون؟ أين الأمم الماضية؟ أين أرباب القصور العالية[١]؟

وعن هانئ مولى عثمان بن عفان -رضي الله عنه- قال: «كان عثمان إذا وقَف على قبر بكى حتى يبلّ لحيته؛ فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتذكر القبر فتبكي؟! فقال: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «القبرُ أوّل منازل الآخرة، فإنْ نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينْجُ منه فما بعده أشد» قال: وسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ما رأيت منظراً قطّ؛ إلاّ والقبرُ أفظعُ مِنه»[٢].

***

١٥-أين نمرود وكنعان ومَن مَلَكَ الأمر وولَّى وَعَزَلْ

١٦-أين عادٌ أين فرعونُ ومن رفَع الأهرامَ مَن يسمَعْ يَخَلْ

(١) مقتبس من «فتح الرحيم الرحمن» (ص١١٠)، ثمّ وجدت أنّ الغمري سبقه في «العـَرْف النَّدِّيّ»، بل إنّ كثيراً مما في «فتح الرحيم الرحمن» تراه مسطوراً في «العَرْف النَّدِّيّ».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٤٤٢)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٥٠).

١٧-أينَ مَن سادوا وشادوا وَبَنَوا هَلَكَ الكلُّ ولم تُغْنِ القُلَلْ

١٨-أينَ أربابُ الحِجا أهلُ النُّهى أينَ أهلُ العلمِ والقومُ الأُوَلْ

١٩-سيُعيدُ اللهُ كلًّا مِنهُمُ وسيجزي فاعلاً ما قد فعَلْ

نمرود: في بعض النسخ بالمعجمة، وبعضها بالمهملة، وهما وجهان سائغان، وهو المذكور في كتاب الله العظيم في قصّة المناظرة المعروفة كما في قوله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1]، وكان مِن الملوك الجبابرة.

كنعان: هو جَدُّ النمرود أبو أبيه، وهو مِن أولاد سام بنِ نوح -عليه السلام- وكان مِن الجبابرة العُتاة؛ الذين يعبدون الأصنام.

عاد: شاملٌ لعادٍ الأولى والثانية، أمّا عادٌ الأولى؛ فتُنسب إلى عاد بن عوص بن إِرم ابن سام ابن نوح-عليه السلام-، وأما عادٌ الثانية؛ فهي من نَسْل عاد بن عوص وعَقِبه، قال -تعالى-: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[2].

وقال -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ * ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾[3].

وأمّا فرعون: فجبّارٌ طاغيةٌ تكرّر ذِكره في القرآن الكريم، ادَّعى الرُّبوبيّة، كما في

---

(١) البقرة: ٢٥٨.

(٢) فُصِّلت: ١٥.

(٣) الفجر: ٦-٨.

قوله -تعالى- في حقه: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[1]، والألوهيّة، كما في قوله -سبحانه- حكايةً عنه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[2]، وكان مِن معاندي الرسل والأنبياء ومِن مضطهدي الصالحين والأولياء.

الحِجَا: العقل.

أهل النُّهى: جمع نُهية أي العقل، سُمّي بذلك؛ لأنه يَنهى صاحبه عن القُبح، قال -تعالى-: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾[3].

المعنى: إِيّاكَ أن تغْفُل عن ذِكر هاذم اللذّات[4]، ومفرّق الجماعات، وميتّم البنين والبنات، فالدنيا فانية، والولاية غير باقية، فاتعظ قبل أن تقول ما أغْنَى عنّي ماليه، هلك عني سلطانيه، تفكَّر في شأن النمرود وكنعان وعاد وفرعون...

فأين هؤلاء؟ إِنّهم تحت التراب، يذوقون أصناف العذاب.

أين مَن مَلَكَ الأَمْرَ، وجاب البرّ، وطار في الجو وركِبَ البحر، وولّى وعَزَل؟!

ولكنه بعد ذلك عن الحُكْم فُصِل، أو مات أو قُتِل.

أين مَن رفَع الأهرام؟

أين مَن بنى القصور والخيام؟

---

(١) النازعات: ٢٤.

(٢) القصص: ٣٨.

(٣) طه: ١٢٨.

(٤) وقد أمر بذلك النبي ﷺ كما في الحديث: «أكثروا ذِكْر هاذم اللذات، يعني الموت»، أخرجه ابن ماجه، والترمذي وحسنه، وانظر «صحيح الترغيب» (٣٣٣٣).

أين مَن تباهى بالبروج المشيَّدة والأعمدة الضِّخام؟

مَنْ يسمع يَخَل[1]: أي مَن يسمع أخبار الأمم التي فَنَت ومضت؛ لا بدّ أن يدّكر ويتعظ؛ لأنّ الموت مصير الجميع، فهم السابقون في تَرْك الحياة، ونحن اللاحقون في استقبال الوفاة، نسأل الله -تعالى- أنْ نكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً.

هَلَك الكُلُّ، وانقطع الأمَل، ولم يبقَ إلاّ الإيمان والعَمَل.

أَين أصحاب العقول والفطنة؟ أَين أهل العِلْم؟ أين الأقوام السابقة؟

إِنّ العقل والفطنة لا يَمنعان الوفاة، والعِلم والفهم لا يُخلِّدان صاحبهما في الحياة، أجل؛ إِنّ هذه الدنيا ليست دارَ إِقامةٍ لأهل التقوى، ولا لأَصحاب الفتوى، ولا لمشرِك أو كافِر، ولا لملحدٍ أو فاجِر.

والله -عزّ وجلّ- سيُعيد هؤلاء جميعهم، قال -سبحانه-: ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾[2].

وسيبعثهم مِن قبورهم، قال -تعالى-: ﴿**ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**﴾[3].

وسيجزيهم بأعمالهم، قال -سبحانه-: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ**﴾[4].

---

(١) انظر إن شئت ما جاء في «لسان العرب» تفسيراً لهذه العبارة.

(٢) الأنبياء: ١٠٤.

(٣) المؤمنون: ١٦.

(٤) الأنبياء: ٤٧.

وقال -عزّ وجلّ-: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[1].

وقال -تعالى-: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾[2].

***

٢٠-أي بُنَيّ اسمع وَصَايا جَمَعَتْ حِكَماً خُصَّت بها خيرُ المِلَلْ

أي: حرف مِن حروف النداء.

بُنيَّ: تصغير (ابن) مضافاً إلى ياء المتكلّم.

والمنادَى يحتمل أنْ يكون ابنه مِن النسب حقيقةً -والخطاب له-، ويحتمل أن يكون الخطاب لغيره مُطلقاً؛ على سبيل الشيوع والعموم على وجه البِرّ والنصيحة، ويكون النداء له على حدّ النداء النكرة غير المقصودة، كقول الواعظ: يا غافلاً والموت يطلبه[3].

الوصايا: جمع وصيّة، كالهدايا، وتُطلَق على فِعْل الموصي، وعلى ما يوصَى به من مالٍ أو غيره؛ من عهد ونحوه... وتُطلق شرعاً على ما يقع به الزجر عن المنهيّات والحثّ على المأمورات[4].

---

(١) الزلزلة: ٧ - ٨.

(٢) القارعة: ٦ -١١.

(٣) ذكره الشيخ الغَمري في «العَرْف النِّدِّيّ» المخطوطة (الورقتين: ٥٢، ٥٣)، ومِنْ بعده القناوي -رحمها الله- في «فتح الرحيم الرحمن» (ص١٥٦).

(٤) انظر «فتح الباري» (٧/ ٢٥٣).

قال الشيخ الغمري -رحمه الله-: «والمراد بها هنا نَشْر العلم، ونَفْع المسلمين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدلالة على الخير، وغير ذلك»[1].

الحِكَم: جمع حِكمة، قال -تعالى-: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ * يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[2].

عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلاّ في اثنتين: رجلٌ آتاه الله مالاً فَسلَّطَهُ على هَلَكَتِهِ[3] في الحقّ، ورجلٌ آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها، ويعلِّمُها»[4].

الحِكْمَة: الإِصابة في القول والفعل.

قال بعضهم: هي القرآن والفقه.

وقال آخرون: العلم بالدين.

وقال آخرون: الفهم.

وقال آخرون: الخَشْيَة.

وقال آخرون: النبوّة.

وهذه الأقوال جميعها صحيحة؛ لأنّ الإِصابة في الأمور إِنما تكون عن فَهْم بها وعِلْم ومعرفة؛ وإِذا كان ذلك كذلك؛ كان المصيب عن فَهْمٍ منه بمواضع الصواب

---

(١) انظر «العَرْف النَّدِّيّ» المخطوطة (ورقة: ٥٣).

(٢) البقرة: ٢٦٨-٢٦٩.

(٣) أي: إِهلاكِه، وعبَّرَ بذلك ليدلّ على أنه لا يُبقي منه شيئاً. «الفتح» (١/ ١٦٧).

(٤) البخاري: ٧٣، ومسلم: ٨١٦.

في أموره فَهْماً خاشياً لله فقيهاً عالماً، وكانت النبوة مِن أقسامه؛ لأنّ الأنبياء مسدَّدون مُفَهَّمون...، والنبوّة بعض معاني الحكمة[1].

قال الإمام النووي-رحمه الله- في شرح الحديث السابق[2]: «الحِكْمَة كلّ ما مَنع مِن الجهل وَزَجَرَ عن القَبيح».

المِلل: جمع مِلة: وهي الدِّين؛ كمِلَّة الإسلام والنصرانيّة واليهوديّة[3].

وخير المِلل: الإسلام.

قال الله -تعالى-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[4] .

عن أبي سعيد -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيءُ نوحٌ وأُمّتُه، فيقول الله -تعالى-: هل بلّغتَ؟ فيقول: نعم أي ربِّ، فيقولُ لأُمَّته: هل بَلَّغكم؟ فيقولون: لا ما جاءَنا مِن نبيٍّ! فيقول لنوحٍ: مَن يشهد لك؟ فيقول: محمدٌ ﷺ وأُمّتُه، فَنَشهَدُ أنه قد بَلَّغَ، وهو قَولُهُ -جلَّ ذِكره-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾، والوَسَطُ: العَدْلُ»[5].

وقال-تعالى-: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

(١) مقتبس من تفسير «جامع البيان» (٣/ ١١٨) تفسير سورة البقرة الآيات: ٢٦٨- ٢٦٩.

(٢) شرح النووي على مسلم: (٦/ ٩٨).

(٣) انظر «النهاية» (مادة مَلَل).

(٤) البقرة: ١٤٣.

(٥) أخرجه البخاري: ٣٣٣٩.

﴿ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[1] ، فبيّن الله -عزّ وجلّ- سبب هذه الخيرية، وأنها تتمثّل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله -سبحانه-.

قال ابن كثير -رحمه الله-: «والمعنى أَنتم خير الأمم، وأنفع الناس للناس، ولهذا قال سبحانه: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، ... وإنما حازت هذه الأمّةُ قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد ﷺ، فإنه أشرف خَلْقِ الله، وأكْرمُ الرسل على الله، بَعَثه الله بشرع كامل عظيم لم يعطه نبياً قبله، ولا رسولاً مِن الرسل، فالعمل على منهاجه وسبيله، يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير مِنْ أعمال غيرهم مقامه».

وهذه الوصايا المذكورة مشتركة بين سائر الشرائع السماويّة، لكنَّ شريعةَ النبي محمد ﷺ اختصَّت بكمال بيانِها، وشدةِ العنايةِ بها[2].

***

٢١-اطلُبِ العلم ولا تَكْسَل فما   أبعَدَ الخيرَ على أهلِ الكَسَل

أي: اجتهد في طلب العلم وتحصيله، ولا تكسَل، فإنّ الكسل سببٌ في حرمان الخير. والخير: اسم جامعٌ لأنواع الفضائل، وهو خلافٌ للشرّ[3].

وقد تعوَّذ رسول الله ﷺ مِنَ الكسل، فعن أنسٍ -رضي الله عنه- قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بكَ مِنَ العَجزِ والكَسَل، والجُبن والهَرَم، وأعوذ بكَ مِنَ

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) ما بين نجمتين مِن «العطر الورْديّ» (ص٧٥).

(٣) قاله القناوي في «فتح الرحيم الرحمن» (ص١٦١).

فتنة المحيا والمَمات، وأعوذ بكَ مِن عذاب القبر»[1].

قال الشاعر:

اطلب ولا تضجَرَن مِن مطلبٍ	فآفةُ الطالب أن يَضّجرا
أمَا ترى الماء بتَكْراره	في الصخرة الصّماء قد أثّرا

وقال بعضهم:

العلم نورٌ فلا تُهمِل مجالسَه	واعمل جميلاً يُرى فالفضل في العمل
لا تَرقد الليل هل في النوم فائدةٌ	لا تكسلنَّ ترى الحِرمان في الكسل

وقد قال يحيى بن أبي كثير -رحمه الله-: «لا يُستطاع العِلم براحة الجسم»[2].

قال -سبحانه-: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

وقال ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»[4].

عن جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما-: «أنه بلغه حديث عن رجلٍ مِن أصحاب النبي ﷺ، قال: فابتعتُ بعيراً، فشدَدْتُ إليه رحلي شهراً، حتى قدمْتُ الشام، فإذا عبدُ الله ابن أُنيس، فبعثتُ إليه أنّ جابراً بالباب، فرجع الرسول فقال: جابر بن عبد الله؟ فقلت: نعم، فخرج فاعتنقني، قلت: حديثٌ بلغني لم أسمعه؛

(١) أخرجه البخاري: ٢٨٢٣، ومسلم: ٢٧٠٦.

(٢) أخرجه مسلم: ٦١٢.

(٣) الزُّمَر: ٩.

(٤) أخرجه ابن ماجه وغيره، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٧٢).

خشيتُ أن أموتَ أو تموتَ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: يَحشر الله العباد -أو الناس- عراةً غرلاً بُهْماً، قلتُ: ما بُهْماً؟ قال: ليس معهم شيءٌ، فيناديهم بصوت يسمعه مَنْ بَعُد-أحسبه قال: كما يسمعه من قَرُب-: أنا الملك، لا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنة يدخُل الجنة؛ وأحدٌ مِن أهل النار يطلُبه بمظلمة. ولا ينبغي لأحدٍ من أهل النار يدخُل النار؛ وأحدٌ من أهل الجنة يطلبه بمظلمة، قلت: وكيف؟ وإنما نأتي الله عُراةً بُهماً؟ قال: بالحسنات والسيئات»[١].

وعن صفوان بن عسَّال المُرادي -رضي الله عنه- قال: «أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو في المسجد مُتكئ على بُردٍ له أحمر، فقلتُ له: يا رسول الله إني جئت أطلب العلم، فقال: مَرحباً بطالب العلم، إنّ طالب العلم تحفّه الملائكة وتُظلّه بأجنحتها، ثمّ يركبُ بعضهم بعضاً؛ حتى يبلغوا السماء الدنيا مِنْ محبتهم لما يطلب»[٢].

وعن أبي أُمامة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «مَنْ غدا إلى المسجد، لا يريد إلاّ أنْ يتعلّم خيراً أو يُعلّمه؛ كان له كأجرِ حاجٍّ تامّاً حجَّتُه»[٣].

وعن أبي أمامة -رضي الله عنه- أيضاً قال: «ذُكِر لرسول الله ﷺ رجلان: أحدُهما عابدٌ، والآخر عالِمٌ»، فقال -عليه أفضل الصلاة والسلام-: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»، ثم قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله وملائكته وأهل السموات والأرض -حتى النملةَ في جُحرها، وحتّى الحوت- ليصلُّون على

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، والبخاري في «الأدب المفرد» «صحيح الأدب المفرد» (٧٤٦).

(٢) رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد -واللفظ له-، وغيرهما، انظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٧١).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» بإسناد لا بأس به وغيره، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٨٦).

معلِّمي الناس الخير»[1].

وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: سمعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سلك طريقاً يلتَمِسُ فيه علماً؛ سهَّل الله له طريقاً إلى الجنّة، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم؛ رضاً بما يصنع، وإنّ العالِمَ ليَسْتَغْفِرُ له مَن في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالِم على العابد؛ كفضل القمر على سائر الكواكب، وإنّ العلماء ورثة الأنبياء، إنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورّثوا العلم، فمَن أخذه أخذ بحظٍ وافرٍ»[2].

***

٢٢-واحتفِلْ للفقهِ في الدينِ ولا　　تَشْتَغِل عنه بمالٍ وخَوَل

احتفل للفقه في الدين: *أي: اجمع حوّاسك للفهم في الدين، أي: في أحكامه*[3].

ولا يصدّنك عن ذلك طلب الخدم والحشَم.

والخَوَل: حَشَم الرجل وأتباعه، واحدهم خائل، وهو مأخوذ مِن التخويل: التمليك، وقيل: مِن الرعاية[4].

وفي الحديث: «إخوانكم خوَلُكُم»[5].

---

(١) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ورواه البزار مِن حديث عائشة مختصَراً، قالت: «مُعلِّم الخير يستغفر له كل شيءٍ، حتى الحيتان في البحر»، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٨١، ٨٢).

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٧٠).

(٣) ما بين نجمتين للقناوي: (ص١٦٤).

(٤) «النهاية» .

(٥) البخاري: ٣٠ .

وللهِ درُّ القائل:

تعلّــم فــإنّ العلــم زَيْــنٌ لأهلــه
وفـضــلٌ وعُـنــوان لكــلِّ المحامـدِ

وكـن مسـتفيداً كُـلَّ يـوم زيــادةً
مِنَ العلـم واسبح في بحـورِ الفوائـدِ

تفقَّـه فـإنّ الفقــه أفضــلُ قـائــدٍ
إلـى البِرِّ والتقـوى وأعـدلُ قـاصـدِ

هـوَ العَلَـم الهـادي إلى سـنن الهـدى
هو الحصنُ يُنجي مِـن جميع الشـدائد

فـــإنّ فقيهـــاً واحـــداً متورِّعـــاً
أشدُّ على الشيطان مـن ألـف عابـدِ[1]

وقال آخر:

ما الفخـرُ إلاّ لأهـلِ العلـم إنّـهمُ
علـى الهـدى لمـن استهدى أدلاءُ

وقَـدْرُ كُـلِّ امـرئٍ مـا كـان يُحْسِنُـه
والجاهلـون لأهـلِ العلـم أعـداءُ

وقال بعضهم:

العلـم نـور وخـير النـاس طالبـه
والجاهلـون لأهـلِ العلـم أعـداءُ

يا طالـب العلـم لا تبغـي بـه بـدلاً
فالناس موتى وأهـل العلـم أحيـاءُ

***

**٢٣-و اهجُـر النـومَ وحصِّـلْه فَمَـنْ
يَعْـرِفِ المطلـوبَ يحقِـرْ مـا بــذَلْ**

أي: اترك النوم؛ لأنهُ يفوّت عليك تحصيلَ العلم، وهـذا لا يكـون إلاّ بتعظيـم قَدْرِ العلم، فإنّ مَنْ يعرف منزلة العِلْم؛ فإنّه لا يهتمُّ بما قَدَّم لأجله مِن وقتٍ أو مال،

(١) انظر «فتح الرحيم الرحمن» (ص١٦٥)، مع الإشارة إلى أنّ هـذا مقتبس مِن حديث موضوع، وانظر «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (٢٦٥١).

ولا يَعبأ بها حُرِم مِن راحةٍ أو نومٍ أو استئناسٍ بزيارة أو نحوه.

قال الشاعر:

سهـري لتنقيـح العلـوم ألـذُّ لـي ... مِـن وصْـلِ غانيـةٍ وطيـب عِنـاقِ

وصريـرُ أقـلامـي علـى صفحاتهـا ... أحلـى مِـن الدوكـاءِ[1] والعُشّـاق

وألـذُّ مـن نقـرِ الفتـاة لِـدُفِّـها ... نقـري لأُلْقِي الرمـلَ عـن أوراقـي

وتمـايُلي طَـرَبـاً لحـلِّ عَويصـةٍ ... في الدرس أشهى مِنْ مُدامةِ ساقي[2]

أأبيـتُ سـهرانَ الدّجـى وتبيتـه ... نومـاً وتبغـي بعـد ذاكَ لِحاقـي

وقال بعضهم:

لـمَحبرةٌ تـجالسنـي نـهـاري ... أَحـبُّ إِلـيّ مِـن أُنْـسِ الـصـديـقِ

ورزمـة كاغَـدٍ[3] في البيـت عنـدي ... أَحـبُّ إِليّ مِـن عِـدْلِ الـدقيـقِ

وقول الناظم -رحمه الله-: «فمن يعرف المطلوب يحقِرْ ما بذَل» قاعدة جليلة في معرفة قدرِ الأمر، وطلب الخير، وإمضاء الصبر، ومجاهدة النفس، وعدم النّدم على ما تركه المرء مِن هذه الدنيا الفانية، للحصول على الغايات السامية، والأهداف العاليَة.

فمن يعرف منزلة الجهاد يحقر الحياة، ومَن يعرف أجر الصدقة يحقر المال...

وهل يبلغ المرء ما يريد بالنّوم؟! أم بالجدِّ والمثابرة والبذل والعطاء مقروناً

---

(١) في لسان العرب: «داكَ الرجلُ المرأة يَدوكها دَوْكاً وباكَها بَوْكاً إذا جامعها».

(٢) يريد: أشهى عند أهلها وأصحابها ومحبّيها.

(٣) ورق الكتابة.

بالتوكل على الله -عزَّ وجلَّ- والإخلاص له على منهج النبي الحبيب ﷺ؟!

وحذارِ أن تجعل البيت الآتي شعارك، ولا تنطقه بلسان حالك:

ناموا ولا تستيقظوا ... ما فاز إلاّ النُّوم!

***

٢٤-لا تَقُلْ قد ذهبتْ أربابُهُ ... كلَّ مَنْ سارَ على الدربِ وَصَلْ

أربابه: أصحابه.

أي: لا تَقُل: كيف أشتغل بالعلم، وقد ذهَب بقبض العلماء، وذَهاب الفقهاء؟! لأنّ كل مَن أراد الوصول إلى مكان ما، وسار على ذلك الطريق؛ وصل إلى مطلوبه.

وقال ﷺ: «إنّما العلم بالتعلم»[١]، وإنّ أعظمَ مسافةٍ تُقطع تبدأ مِن أول خطوة.

وهذا حثٌّ مِنَ الناظم -رحمه الله- على بذل المجهود، وعدم اليأس في طلب العلم لذَهاب الفحول، ووفاة ورثة الرسول ﷺ؛ لأنّ الله -عزَّ وجلَّ- قال: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾[٢]، وهذا يتضمن الكتاب والسُّنة.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله يَبعث لهذه الأمّة على رأس كُلِّ مائة سنة؛ مَنْ يُجدّد لها دينها»[٣].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٦٧) و«السلسلة الصحيحة» (٣٤٢).

(٢) الحِجر: ٩.

(٣) أخرجه أبو داود وغيره، وانظر «الصحيحة» (٥٩٩).

وعن ثوبان -رضي الله عنه- قـال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفةٌ مِن أمّتي ظاهرين على الحقّ، لا يضرُّهم مَن خذَلهم حتى يأتي أمر الله»[1].

***

٢٥-فازديـادُ العلـمِ إرغـامُ العِـدَا وجمـالُ العِلـم إصـلاحُ العَمَـلْ

الإرغام: الإذلال والإهانة كأنه لصقَ بالرَّغام-وهو التراب- ذِلّةً وهواناً.

(فازدياد): في نسختين أُخريين: (في ازدياد).

(إصلاح العمل) في نسخة: (يا صاحِ العمل).

أي: إنّ الاستزادة مِن العلم، إذلالٌ للأعداء الحاسـدين، والخُصـوم الشـانئين، فإنه قد كبُر على هؤلاء ما يرونه عليك مِن لباس العلم وثياب الأدب؛ لأنهم يتمنّون لك الجهل والانحطاط، وإنّ جمال العلم وبهاءه؛ سبيلُ إصلاح الأعـمال، وإحسـانِ السلوك والخُلق والأقوال، وهذا هو طريق السعادة في الدارين، ومُبغضك لا يحـبُّ لك الحبور أو السرور، بل إنه يترقّب لك الهلاك أو القبور.

واقرأ للمزيد مِنَ الفائدة كتاب «اقتضاء العلم العمل» للخطيب البغدادي -رحمه الله- ففيه توجيهات نافعة وفوائد رائعة.

***

٢٦-جَمِّـلِ المنطـقَ بـالنحوِ فمَـنْ يُحـرَم الإعـرابَ في النطـقِ اختبـل

---

(١) أخرجه مسلم: ١٩٢٠، و في روايةٍ عنده أيضاً (١٩٢٤): «فقال عبد الله: أجل، ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك مسُّها مس الحرير، فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة».

المنطق: النطق، أي: الكلام.

الإعراب: تغييرٌ يلحق أواخر الكلمات العربية؛ مِنْ رفْعٍ ونصبٍ وجرٍّ وجزم.

اختبل: أي تحيَّر في كلامه، ولم يَدْرِ الصواب مِن الخطأ. «قاله القناوي».

والمراد: زَيِّن نُطْقك بمعرفة قواعد النحو، فمن لا يحسن ذلك فإنه يتحيّر في كلامه ويندهش في نُطقه، لأنه يخشى أن يقول بغير الصحيح وينطق بغير المليح.

قال الشيخ الغمري -رحمه الله-: «النحو جمالُ الألسنة وكمالُ العلماء، يُعلم منه معاني الكتاب والسُّنة النبوية ومخاطبة العرب بعضهم بعضاً، وبه يخاطِب الله -تعالى- عباده في الجنة»[1].

فلا بُدّ لطالب العلم مِنَ النحو لتعلّم معاني الكتاب والسنة والأحكام الشرعية.

***

٢٧-اِنظِمِ الشعرَ ولازمْ مذهبي ... فاطِّراحُ الرِّفدِ في الدنيا أقل

فاطراح: في بعض النسخ «في اطراح» أي: في الإلقاء والرمي، والرّفد: العطيّة.

أي: انظِم الشعر مُلازماً مذهبي، موافقاً مشربي في نَظْم المشروع، وتَرْك الممنوع، مستغنياً عن العطية، مترفعاً عن الدنيّة، فإنَّ من يفعل ذلك في الناس هو الأقلّ، ولكنه الأحسن والأفضل، ولا تكن مع الكثرة الكاثرة، فإنها لماء الوجه خاسرة.

وقال بعضهم مؤكّداً هذا المعنى:

---

(١) «العَرْف النِّدِّيّ» المخطوطة (ورقة:٦٠).

وما أنا شاعر حاشا علومي ... ولست أرى التكسُّب بامتداحِ
فلي مِن نِعمة الرحمن مالٌ ... يصون عن احتياجٍ واجتياحِ

***

٢٨- فَهْو عِنُوانٌ على الفضلِ وما ... أحسنَ الشعر إذا لم يُبتَذلْ

العُنوان: ما يُستدلّ به على غيره.

يُبتذل: أي: يُمْتهَن[١].

أي: إنّ نظم الشعر على ما سبَقَ وصْفُه؛ دليل على فضل قائله، بل إنّ الجيّد منه دِلالةٌ على مكارم الأخلاق، وعلامةٌ على محاسن الآداب، إنّه باب من أبواب الخيرات.

وما أحسن الشعر إذا لم يُمتهن بالمديح، والانجرار في القول القبيح؛ مِن نفاقٍ وكذب، والدعوة إلى الفجور، والتلذّذ بالخمور.

ما أجمل الشعر إذا وظّف للبرِّ، واستُثمر للخير، وقد قال ﷺ: «إنّ مِن الشعر لَحكمة»[٢].

قال الشاعر:

للشعر فضل شائعٌ بين الورى ... كأنه زهر الربيع إذا يُرى
من لم يكن للوزن منه عارفاً ... فحقُّه بين الورى أن يُعذرا

وقال آخر:

---

(١) جاء في «اللسان» (مادة بذل): ابتذال الثوب وغيره: امتهانه.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» وغيره، وانظر «الصحيحة» (١٧٣١).

الشعر زين للفنون مشرق وشمعةٌ بين الأنام تُشرقُ
لقد أضاع في العلوم نشره كأنه المسك العتيق المُعبقُ

وقال ﷺ لحسان -رضي الله عنه-: «إنّ روح القدس لا يزال يؤيدك؛ ما نافحْتَ عن الله ورسوله»[1].

وقال أحدهم في ذمّ ممتهنة الشعر:

الكلب والشاعر في حالة يا ليت أني لم أكن شاعرا
أما تراه باسطاً كفّه يستطعم الوارد والصادرا

وقال بعضهم:

أيّ ماءٍ لِحرٍّ وجهك يبقى بين ذلّ الهوى وذلّ السؤال

وقال آخر:

وما شعراؤُكم إلاّ ذئابٌ تلصَّصُ في المدائح والسُّبابِ

***

٢٩-ماتَ أهلُ الجودِ لم يبقَ سوى مُقرفٍ أو مَن على الأصلِ اتَّكلْ

يشكو الشاعر مِن ذهاب الأفاضل ومجيء الأَراذل، يقول: لقد ذهب أهل الشرف، وجاء أهل القرف، أو مَن اتَّكل على الأصل مِن الأموات، أو الأهل مِنَ العظام والرُّفات.

قال الشيخ الغمري -رحمه الله تعالى-: «جرتْ عادةُ الله -تعالى- في أرضه

(١) مسلم: ٢٤٩٠.

-أي: في خلقِه قرناً بعدَ قرنٍ، وجيلاً بعدَ جيلٍ-، أنْ يموتَ أهلُه، الأمثلُ فالأمثلُ، والأكملُ فالأكملُ، حتى لا يبقى إلا أراذلُ الناسِ و أسافِلُهم، وهو معنى قولِ الناظمِ -رحمَهُ الله-: (ماتَ أهلُ الفضلِ إلخ)، يعني: يموتُ الأشرافُ، ويبقى الأطرافُ، حتى لا يبقى إلاّ مُقرِفٌ في معاشرتِهِ ومُصاحبتِهِ وَوِدادِهِ ومخالطتِهِ، أو مَنْ يَعتَمِدُ على آبائِهِ و أجدادِهِ في أنسابِهِ بأنْ يقولَ: يكفيني أنّي ابنُ الشيخِ فلان ابن فلان...أو أنا ابنُ الأميرِ فلانٍ...ونحوِ ذلك؛ فيتكلُ على أصولِهِ الماضين النازلين في بطنِ الأرضِ، «وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[١]، ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾[٢]، وحاصلُه أنّ كلَّ ما قَرُبَ الزمانُ من الساعةِ؛ انقرضَ الأخيارُ، ولم يبقَ إلاّ الأشرارُ[٣]، وانقطعَ النفعُ مِنْ غالبِ المسلمين، ولم يبقَ إلاّ المفسِدون، ذهَبَ ذوو الهِممِ الجامعةِ المانعةِ، وبقيَ الذين حياتُهم غيرُ نافعةٍ، وما أحسنَ ما قِيلَ في معنى هذا القبيلِ:

ذهبَ الذين يُعاش في أكنافِهم   وبَقِيْ[٤] الذين حياتُهم لا تنفعُ

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٦٩٩ بلفظ «بطّأ»، وأبو داود «سنن أبي داود» (٣٦٤٣) بلفظ «أبطأ».

(٢) النجم: ٣٩-٤١.

(٣) لحديث رويفع بن ثابت الأنصاري -رضي الله عنه- أنّه قال: «قُرِّبَ لرسول الله ﷺ تمرٌ ورُطب، فأكلوا منه حتى لم يبقَ منه شيء إلاّ نواة، فقال رسول الله ﷺ: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: تذهبون، الخيِّرُ فالخيِّر، حتى لا يبقى منكم إلاّ مثل هذا»، أخرجه البخاري في «التاريخ»، وابن حبان «التعليقات الحسان على ابن حبان» (٧١٨١) وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (١٧٨١).

(٤) كذا ضرورةً.

وقال الآخرُ[1]:

ذهـبَ النـاسُ فاسـتَقَلُّوا وصرنـا ... خلـفـاً فـي أراذلِ النسنـاسِ

في أنـاسٍ تعـدُّهُـم مـن بعيـدٍ ... فـإذا فُتِّشـوا فليسُـوا بنـاسِ

كلّـما جئـتُ أبتغـي النـيلَ منهم ... بَـدَروني قبـل السـؤال بيـاسِ

وبكَـوْا لي حتـى تمنيـتُ أنـي ... منهـمُ قـد أُقِلْـتُ رأسـاً بـراسِ

وقال آخرُ:

ذهـبَ الـذين يُعـاش في أكنـافهم ... وبقيـتُ في خَلْـفٍ كجلـد الأجـربِ

وهذا ينبغي أن يكون لبيان الحال؛ ليعلم المرء ما الناس عليه وما ينبغي فعله، مع التذكير بعدم التقنيط، وفي الحديث: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»[2].

***

٣٠-أنـا لا أختـارُ تقبيـلَ يـدٍ ... قطـعُها أجمـلُ مـن تِلـكَ القُبَـلِ

٣١-إن جَزَتني عن مديحي صرتُ في ... رِقِّهـا أو لا ، فيكفينـي الخجـلِ

يقول الناظم -رحمه الله-: أَنا لا أرى ما يراه الناس مِن تقبيل يد المرء والتذلّل له، لمصالحَ يرغبها، وأغراض يرقبها...فهي إنْ كافأتني عن مديحي وثنائي، فإنّها تجعلني لصاحبها في ذِّلةٍ وهوان، وأنا مع ما أخذْتُه؛ أشعر بالخُسران، وإن لم أُجْزَ عن

---

(١) إيراد هذا ونظائرِه مني على سبيل الحكاية؛ لا الإقرار.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» وغيره، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٣٩).

المديح، وعن الفعل الآثم القبيح، فحسبي الخجَل مما جلبتُ لنفسي مِنَ الإحراج والإزعاج.

***

٣٢-أعذبُ الألفاظِ قولي لك خُذْ   وأمرّ القولِ نُطقي بِلَعَل

إنّ أحلى الألفاظ التي أنطقها قولي لك: «خُذْ» مقروناً بالإخلاص لله -تعالى-، وأكثر الكلام مرارةً عندي؛ قولي لسائلي: لعلّي أفعل، أو سأنظر في الأمر...ونحو ذلك مِن العبارات التي ليس فيها شيء مِنَ الحزم في تلبية ما يُطلب وتحقيق ما يُرغب.

وفي هذا إشارة إلى قوله ﷺ: «اليد العليا خير مِنَ اليد السفلى، فاليد العليا هي المنفقة، والسفلى هي السائلة»[١].

قلت: وفي قوله: «أعذب الألفاظ قولي لك خُذ» ؛ يحسُن ذكر قوله ﷺ: «إنّ لله أقواماً اختصهم بالنّعم لمنافع العباد، يُقرّهم فيها ما بذَلوها، فإذا منعوها؛ نَزعها منهم فحوّلها إلى غيرهم»[٢].

***

٣٣-مُلْكُ كسرى تُغْني عنه كسرةٌ   وعن البحرِ اجتزاءٌ بالوَشَل

الوَشَل: الماء القليل، يُتحلّب من جبل أو صخرة؛ ولا يتصل قَطْرُه، أو لا يكون إلا من أعلى الجبل[٣].

---

(١) أخرجه البخاري: ١٤٢٨، ومسلم: ١٠٣٣.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦١٧)، وهو في «الصحيحة» (١٦٩٢).

(٣) انظر «القاموس المحيط» مادة (وشل).

أي: ملك كسرى مع ما قد عُلم فيه مِن اتساع؛ تغني عنه كِسرة من الخبز، وكذا البحر مع كثرة مائه؛ يجزئ عنه الماء القليل، فبقليل الخبز والماء؛ يَندفع الجوع والظمأ.

قال الشاعر:

الجوع يُطرَد بالرغيف اليابسِ فعلامَ تكثُر حسرتي ووساوسي

وفي حديث عمرَ بن الخطاب -رضي الله عنه-: «...فَدَخلتُ على رسول الله ﷺ وهو مضطجعٌ على حصير، فجلستُ، فأدنى عليه إزاره، وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثَّر في جنبه، فنظَرْتُ ببصري في خزانة رسول الله ﷺ ؛ فإذا أنا بقبضةٍ من شعير نحو الصَّاعِ، ومثلها قَرَظاً[١] في ناحية الغرفة، وإذا أَفِيقٌ[٢] مُعلَّقٌ، قال: فابتدرت عيناي، قال: ما يبكيك يا ابن الخطاب، قلتُ: يا نبي الله وما لِي لا أبكي، وهذا الحصير أثّرَ في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله ﷺ وصفوته، وهذه خزانتك، فقال: يا ابن الخطاب، ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟! قلتُ: بلى...»[٣].

قال الشاعر:

والنفس راغبة إذا رغّبْتَها وإذا تُردُّ إلى قليلٍ تَقْنعُ

***

(١) وقَرَظاً: أي جِلداً مدبوغاً بالقَرَظ، وهو ورق السَّلَم: نوعٌ مِن الشجر يعظُم، وله شوك.

(٢) أي: جِلْدٌ لم يتمَّ دِباغُه.

(٣) أخرجه البخاري: ٢٤٦٨، ومسلم: ١٤٧٩، وهذا لفظه.

٣٤-اعتبرْ «نحنُ قَسْمنا بينهم» تَلْقَهُ حقاً وبالحقِّ نَزَلْ

٣٥-ليس ما يحْوي الفتى مِنْ عزمِهِ لا ولا ما فاتَ يوماً بالكَسَلْ

أي: تأمّل قوله -تعالى-: ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[(١)]؛ تجِدْه حقاً، فلِلَّه -تعالى- الحكمة البالغة في بسْطِ الرزق وتضييقه، وعلى العبد المسلم أن يَستسلم لأمر الله -سبحانه- ويرضى بقدره فإنّ الإنسان لا يدري ما يُصْلحه، فإنَّ مِن الناس مَنْ لا يُصْلِحه إلاّ الفقر، ومنهم مَن لا يُصْلِحه إلاّ الغنى.

وعلى العبد أن يمشي في مناكب الأرض، معتقداً أنّ الله -عزّ وجلّ- هو الذي يكتب الأرزاق ويَقْسِمُها.

قال الشاعر:

كم مِن قويٍّ قويٌّ في تقلُّبه مُهذَّب الرأي عنه الرزق مُنحرِفُ

وكم ضعيفٍ ضعيفٌ في تقلُّبه كأنّه مِنْ خليج البحر يغترفُ

هذا دليل على أنّ الإله له في الخلق سرٌّ خفيٌّ ليس يَنكشفُ

وعن جابر -رضي الله عنه-: «لو أنَّ ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت، لأدركه رزقه كما يدركه الموت»[(٢)].

وفي الحديث: «إنّ الرّزقَ ليطلبُ العبد كما يطلبُهُ أَجَلُهُ»[(٣)].

---

(١) الزُّخرُف: ٣٢.

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» وغيره، وانظر «الصحيحة» (٩٥٢).

(٣) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣٢٢٧) وغيره، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٠٣).

وفي معنى هذا يقول الشاعر:

لا تعجلنّ فليس الرزق بالعَجَل ... الرزق في اللوح مكتوبٌ على الأجل

فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا ... لكنه خُلِق الإنسانُ مِنْ عَجَل

والخلاصة: ليس ما يُرزقُه المرءُ من اجتهاده ومثابرته، ولا ما فاته من ذلك بالكسل، مع أن الإنسان يأثم إذا لم يمشِ في أسباب طلب الرزق.

وقد قال -تعالى-: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[١]، أي: لذيذاً نافعاً.

وفي هذا المعنى قال الشاعر:

ألم ترَ أن الله أوصى لمريمٍ ... فهزّي إليك الجذع يسّاقطِ الرُّطب

ولو شاء أدنى الجذع مِنْ غير هزِّه ... إليها ولكنْ كل شيء له سبب

ولذلك، فإن هذا يفضي إلى إحسان التوكّل ، قال رسول الله ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حقّ توكله لرَزَقكم كما يرزق الطير...»[٢].

وفي الحديث: «اعقلها وتوكّل»[٣].

***

(١) مريم: ٢٥.

(٢) أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (٣١٠).

(٣) أخرجه الترمذي «صحيح سنن الترمذي» (٢٠٤٤)، وغيره وانظر «تخريج مشكلة الفقر» (٢٢).

٣٦-واطْـرحِ الـدّنيا فمِـنْ عاداتِهـا　　تُخفِـضُ العـالي وتَرْفـعْ مـن سَفَـل

المعنى: إيّاك أن تغترّ بهذه الدنيا الفانية، والعاجلة الماضية، فإنّ من عاداتها أن تُخْفض العالي، وتسلب الوَلاية من الوالي، وتطيح بالعالي، وتُعلي السافل، وترفع الجاهل. وفي الحديث: «إذا وُسّد الأمر إلى غير أهله؛ فانتظر الساعة»[1].

واجعل الآخرة هي المُراد، فهذا هو عين التوفيق والسداد، وقد قال النبي ﷺ: «والله ما الدنيا في الآخرة، إلاّ مِثْلُ ما يَجْعل أحدُكُم إِصْبَعه هذه في اليمّ، فَلْينظر بمَ يرجع»[2].

قال الشاعر:

عَتَبْتُ على الـدنيا بتقـديـم جاهـلٍ　　وتأخـير ذي علْمٍ فقالت: خُذِ العُـذرا

بنو الجهـل أَبـنـائـي لـذاك رَفَعْـتهم　　وأَهل التقى أَبناءُ ضرّتـيَ الأُخـرى[3]

***

٣٧-عِيشـةُ الزاهِـدِ فـي تحصيلهـا　　عيـــشةُ الجاهـــدِ بـــلْ هــــذا أذلّ

بعد المقدّمات الآنفة يوجّه الشاعر إلى الزُّهد في الـدنيا، والقناعـة باليسـير؛ لأَن الزاهد والجاهد في العيش سواء، بل إنَّ المُنهمك في التحصيل وآبي القليل؛ قـد جَـرّ الذِّلة والهوان لنفسه، لا يبالي أَمِنْ حرامٍ أم مِنْ حلالٍ حصل على هـذا المـال، ولكـن هذا الزاهد سيكون لرزق الآخرة أكثر تحصيلاً، ولا يكون الجاهد إلّا مَهِيناً ذليلاً.

***

(١) أخرجه البخاري: ٥٩.

(٢) أخرجه مسلم: ٢٨٥٨.

(٣) وفي الحديث: «مَن طلَب الدُّنيا أضرَّ بالآخرةِ، ومَن طلَبَ الآخرةَ أضرَّ بالدُّنيا، فأضِرّوا بالفـاني للباقي»، أخرجه ابن أبي عاصم في «الزهد» وغيره، وانظر «الصحيحة» (٣٢٨٧).

٣٨-كَم جَهولٍ وهْو مُثْرٍ مُكْثِرٌ وعليمٍ ماتَ منها بالعِلَلْ

٣٩-كم شجاعٍ لم ينلْ منها المُنَى وجبانٍ نالَ غاياتِ الأملْ

يُؤكّد الشيخ المعنى المتقدم بالمزيد من الأمثلة، وذلك أنك ترى في الواقع كثيراً مِن الجَهلَة أثرياء، ومن السَفَلَة أغنياء، كما ترى فيها العلماء، ولكنهم فقراء، فارقوا الدنيا بأدوائهم، وأيضاً كم حُرم الشجاع نيل المنى، وكم استمتع الجبان بالثراء والغنى.

قلت: هذا في التوجيه إلى عدم الركون إلى الدنيا، ولكن لا يَمنع هذا أن يسلك المرء السلوك الصحيح والنهج المليح في طلب الرزق، ليكفّ نفسه عن الإشراف، ويده عن السؤال.

***

٤٠-فاتْرُك الحيلةَ فيها واتَّئِد إنّما الحيْلةُ في تَرْكِ الحِيَلْ

وبناءً على ما تقدم؛ فاترك الاحتيال لتستكثر مِن هذه الدنيا، وارفق بنفسك ولا تستعجل، وقد قال ﷺ: «أجمِلوا في طلب الدنيا؛ فإنَّ كُلًّا ميسّرٌ لما خُلق له»[(١)].

وفي لفظ: «أيّها الناس! اتقوا الله وأجْمِلوا في الطّلب، فإنّ نفساً لن تموت حتى تستوفيَ رزقها، -وإنْ أبْطأ عنها- فاتقوا الله وأجمِلوا[(٢)] في الطّلب، خُذوا ما حلَّ، وَدَعوا ما حَرُم»[(٣)].

وليس التوفيق أَن تجعل الاحتيال في الاستزادة مِن العاجلة، ولكنه في الزهد

(١) أخرجه ابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (١٧٤٢) وغيره، وانظر «الصحيحة» (٨٩٨).

(٢) أجملوا: أَجْمَلَ اتَّأَدَ واعتدل فلم يُفرِّط «القاموس المحيط»، وفي «فيض القدير»: أجملوا في الطلب: أي: اطلبوا الرزق طلباً رفيقاً. وقال في «المرقاة»: أجمِلوا: أحسِنوا.

(٣) أخرجه ابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (١٧٤٣)، وانظر «الصحيحة» (٢٦٠٧).

فيها وطلب الآخرة، وهذا يذكّرنا بحديث النبي ﷺ: «ليس الشديد بالصُّرَعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[1].

فالتحايل في تَرْك الحيلة؛ خيرٌ من إِمضاء الحيلة.

***

٤١ -أيُّ كفٍّ لم تَنلْ منها المنى فرماها اللهُ منهُ بالشَّلَل

وفي بعض النسخ:

أيُّ كفٍّ لم تُفِدْ ممّا يُفَدْ فرماها اللهُ منهُ بالشَّلل

*وفي هذا البيت: الدعاء على الشخص البخيل بشلل يده؛ لأنّ الله -تعالى- نهى عن البخل، بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾[2]، وأمَر بالإحسانِ بقوله: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[3].

ألا يخشى أولئك البخلاء أَن يكونوا ممن أساؤوا الظنَّ بربّهم في الخَلَف، وقد قال -سبحانه-: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[4] ؟!*[5].

وقالوا: البخيل يملأ بطنَهُ والجارُ جائع، ويحفظ ماله والعرضُ ضائع.

قال الشاعر:

---

(١) أخرجه البخاري: ٦١١٤، ومسلم: ٢٦٠٩، وقد تقدم.

(٢) الإسراء: ٢٩.

(٣) القصص: ٧٧.

(٤) سبأ: ٣٩.

(٥) ما بين نجمتين من «فتح الرحيم الرحمن» (ص٢٢٢).

ومِن الـجهالة بالمـكارم أن تَـرى جـاراً يـجـوع وجـاره شبعـانُ

وقال آخر:

أرى النـاس خُـلّان الجـواد ولا أرى بخيـلاً لـه في العالـمـيـن خليـلُ

وإني رأيـت البخـلَ يُـزري بأهـله فأكرمـت نفسـي أَن يقـال: بخيـلُ

وقال الحسن البصري -رحمه الله-: «لم أرَ أشقى بماله مِن البخيل؛ لأنه في الـدنيا مهتمٌّ بجمعه، وفي الآخرة محاسبٌ على مَنْعه، غيرُ آمنٍ في الدنيا مِن همِّه، ولا نـاج في الآخرة مِنْ إثمه، عيشُه في الدنيا عيشُ الفقراء، وحسابه في الآخرة حسابُ الأغنياء»[1].

قلت: وليس الأمر مقصوراً في عدم الإِفادة على البُخل، فقد يكون الباعث هـو الكِبر، وعدم حبّ الخير، أو قد يمنع المرء ما لا يضـرّه لمجرَّد المنع، جـاء في حـديث عن أنس -رضي الله عنه- قال: «استشهد رجلٌ منّا يومَ أُحد، فوُجِد على بطنه صـخرة مربوطة من الجوع، فمسحت أُمُّه التراب عن وجهه وقالت: هنيئاً لك يـا بنـيّ الجنـة! فقال النبي ﷺ: ما يُدْريكِ؟! لعلَّه كان يتكلم فيما لا يعنيه، ويمنع ما لا يضرُّه»[2].

وعن أبي هريرة قال: «قُتل رجل على عهد النبي ﷺ شهيداً، فبكت عليـه باكيـةٌ، فقالت: واشهيداه! فقال النبي ﷺ: وما يدريك أنه شهيد؟! لعله كان يـتكلم فـيما لا يعنيه، أو يَبخل بما لا يَنقصه»[3].

***

(١) «فتح الرحيم الرحمن» (ص٢٢٣).

(٢)أخرجه أبو يعلى وغيره، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٨٣).

(٣) أخرجه أبو يعلى وغيره، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٨٤).

٤٢-لا تَقُلْ أصلي وَفَصْلي أبَداً إنّما أصْلُ الفَتى مَا قد حَصَلْ

الفصل: المراد هنا الولد؛ لأنه ينفصل عن أَبيه، ويتفرّع منه.

يَنهى الشاعر عن الاتكال على شرف الوالد والولد، فهذا كله لا يُجدي، والفائدة كل الفائدة فيما يُحصِّله الفتى من الإِيمان وطاعة الرحمن، ومعصية الشيطان.

قال -تعالى-: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[1].

قال سلمان -رضي الله عنه-: «إنّ الأرض المقدّسة لا تُقدّس أحداً، وإنّما يُقدّس الإنسانَ عملُه»[2].

قال -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[3].

وقال ﷺ: «مَنْ بطّأ به عمله لم يُسرِع به نسبُه»[4].

وما أحسن ما قاله الشاعر:

كن ابنَ مَن شئت واكتسِب أدباً يغنيك محمودُهُ عن النسبِ
إِنّ الفتى مَن يقول هَا أنا ذا[5] ليس الفتى مَن يقول كان أبي

(١) عبس: ٣٤-٣٧.

(٢) رواه مالك في «الموطأ»، وانظر تخريج «فضائل الشام» (ص٨).

(٣) لقمان: ٣٣.

(٤) أخرجه مسلم: ٢٦٩٩، وقد تقدّم.

(٥) لو جاز هذا!

قال بعضهم: «الأَدب يَجبرُ نقصان النسب، وأَمّا النسب؛ فلا يجبر نقصان الأَدب».

وعن أُبي بن كعب -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن تَعزّى بعزاء الجاهلية، فأَعِضُّوهُ بهَنِ أبيه ولا تَكْنوا»(١).

وعن عياض بن حمارٍ المجاشعيّ -رضي الله عنه-: أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله أوحى إليّ: أَنْ تواضعوا حتى لا يَفخر أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغيَ أحدٌ على أحدٍ»(٢).

وكان من دعاء النبيﷺ: «اللهُمَّ؛ أحيني مسكيناً، وأَمتني مسكيناً، واحشُرني في زُمرة المساكين»(٣).

قال بعضهم: «لو سأل الله -تعالى- أن يَحْشُر المساكين في زمرته، لكان لهم الفخر العظيم، فكيف وقد سأله أنْ يَحشُره في زمرتهم؟!».

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-: عن النبيﷺ قال: «لينتهينّ أقوامٌ يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحمٌ من جهنم، أو ليكوننَّ أهون على الله من الجُعل(٤) الذي يُدهده(٥) الخِراءَ بأنفه، إنّ الله قد أذهب عنكم

---

(١) رواه أحمد في «المسند»، والبخاري في «الأدب المفرد»، والطبراني في «المعجم الكبير» وغيرهم، وانظر «الصحيحة» (٢٦٩).

(٢) أخرجه مسلم: (٢٨٦٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه والترمذي وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (٣٠٨)، والمراد بالمساكين هنا: المتواضعون، الطائعون، الخاشعون.

(٤) الجُعل: دويبة سوداء تريد الغائط، يقال لها: الخنفساء. «المرقاة» (٨/ ٦٣٦).

(٥) أي: يدحرج.

عُبِّيَّةَ[1] الجاهلية، وفخرها[2] بالآباءِ، إنما هوَ مؤمنٌ تقيٌّ، أو فاجرٌ شقيٌّ، النّاس كلّهم بنو آدم، وآدم مِن تُراب»[3].

***

٤٣-قدْ يسودُ المرءُ مِنْ غيرِ أبٍ وبحُسْن السَّبك قدْ يُنفى الزَّغَلْ

السّبك: تخليص الشيء مِن خَبَثه، وإذابته لصُنعه على ما يريده صاحبه.

الزغَل: الخَبث والغش.

أي: قد يكون للمرء سيادةٌ وشرف، وأَبوه ليس كذلك، وذلك لما يوفَّق مِن علوّ الهمة والمثابرة؛ كما هو حال الفضة المزيفة إذا صُليت بالنار فإنها تصفو مِن الزيف، وتخلُص مِن الزّغل -أي: الخَبَث- وتصير خالصة صافية، وبهذا تسود على أَصلها.

***

٤٤-وكذا الوردُ من الشوكِ وما ينبت النرجسُ إلاّ مِن بَصَلْ

النّرجس: زَهر له رائحةٌ زكيّة.

المعنى: كما ساد المرء مِن غير أبٍ له جاهٌ أو سيادة؛ فالوَرْد قد ساد على النّبات، مع أنّه يطلع مِن الشوك المؤذي، وكذلك النرجس مع روائحه الزكيّة وأَلوانه البهيّة؛

---

(١) أي: نخوتها وكِبرها.

(٢) أي: افتخار أهل الجاهلية في زمانهم. «المرقاة» (٨/ ٦٣٧) .

(٣) رواه الترمذي وأبو داود، وإسناده حسن، وانظر «المشكاة» (٤٨٩٩).

فإنه ينبت من البَصل، مع ما قد علِمْنا من شأن طعمه ورائحته.

جاء في بيان ما بقي من الأمثلة التي ساد فيها الشيء على أصله شيئان؛ لم يذكرهما الناظم أحدهما: العسل، فإنّه مع صفاء لونه وحلاوة طَعْمه، وشفاءِ الناس به؛ يخرج من بطون ذباب النحل؛ فمعلوم أَنه ساد عن غير أَصل.

ثانيهما: الحرير بجميع أنواعه، فإنه مع نعومته وغلوّ ثمنه؛ يخرج مِن دودةٍ ضعيفة دقيقة الجسم جداً، فمعلوم ضرورةً أنه ساد على أَصْله[1].

***

٤٥-مع أنّي أحمدُ اللهَ على نسبي إذْ بأبي بكرٍ وَصَلْ

وفي بعض النُّسخ «إذ بأبي بكرِ اتَّصَل».

وهذا مِن الشاعر دفعاً لإيهام مَن يتوهم أَنه لا ينتسب إلى أصلٍ شريف، ونسبٍ مُنيف، فهو يحمد الله على اتصال نسبه بأبي بكر الصديق -رضي الله عنه- *أفضلِ الأولين والآخرين بعد النبيين والمرسلين»*[2].

وفي المسند من ثلاثة وجوه عن النبي ﷺ: «أنّ النبي ﷺ وزن بالأمّة فرجح، ثمّ وزن أبو بكر بالأمّة فرجح، ثم وزن عمر بالأمّة فرجح»[3].

***

٤٦-قيمةُ الإنسانِ ما يُحسِنُهُ أكثَرَ الإنسانُ منه أو أَقَلّ

---

(١) ذكَرها الشريف القناوي -رحمه الله- في «فتح الرحيم الرحمن» (ص٢٣٢).

(٢) ما بين النجمتين: قاله الشريف القناوي في «فتح الرحيم الرحمن» (ص٢٣٤).

(٣) انظر التفصيل في تخريج «كتاب الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيميّة (ص٣٢٥).

أي منزلة الإنسان بما يُحسنه، ومكانته بما يُتقِنُه، كثرةً أو قلّة، لا بحَسَبِه ونسبه، وهذا يدعو إلى العمل الصالح والدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-.

قال بعضهم: «دلَّ قوله -تعالى-: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾[1]، على أنّ للكلب المُعلَّم فضيلةً على غيره مِن سائر الكلاب؛ فالإنسان إذا كان له عِلمٌ...، فأولى أن يكون له فضلٌ على غيره».

قال الشاعر:

الناس في جهة التمثيل أكفاء	أبوهمُ آدمٌ والأمُّ حواءُ
نفسٌ كنفسٍ وأرواحٌ مشاكلةٌ	وأعظُمٌ خُلقت فيهم وأعضاءُ
فإن يكن لهمُ مِن أصلهم شَرَفٌ	يُفاخرون به فالطين والماءُ
ما الفضل إلاّ لأهلِ العِلْم إنَّهمُ	على الهدى لمن استهدى أدِلَّاءُ
وقَدْرُ كل امرئٍ ما كان يُحسنُه	وللرجال على الأفعال أسماءُ
وضدُّ كل امرئٍ ما كان يجهلُه	والجاهلون لأهل العلم أعداءُ
فَفُز بِعلمٍ ولا تطلب به بدَلا	فالناس موتى وأهل العلم أحياءُ

***

٤٧-أُكتُمِ الأمرينِ فَقْراً وَغِنىً واكسِب الفَلْسَ وجانِب مَن بَطَل

بَطل: مِن البطالة، وهي تَرْك العمل.

أي: لا تُظهر الفقر والمسكنة على جهة التضجُّر؛ فإنَّ الفقر شعارُ عباد الله

(١) المائدة: ٤.

الصالحين، ولا تُبْدِ أيضاً غناك؛ لما ينشأ عنه مِن التفاخُر والتعـاظُم والخُـيلاء، الـذي هو مِن شأن ذوي الأموال؛ ولِما يلحقُه أيضاً بسـبب الإظهـار مِـن الحسـد وتسـليط الظَّلَمةِ واللصوص عليه[1].

وقوله: «واكسب الفَلْس وحاسِب مَن بطل»، أي: ابذل الأسباب الصحيحة في كَسْب المال، وحُثَّ العاطل عن العمل على المشي في مناكب الأرض، واترك الكسل والتواكل.

قلت: في بعض النسخ «وجانِب مَن بَطَل».

وتقدّم قول بعضهم:

ألم تــــرَ أنَّ الله أوحـــــى لمـــــريمِ وهزّي إليك الجـذع يسّـاقط الرطـبُ
ولو شاء أدنـى الجـذع مِـن غـير هـزّه إليهــا ولكــنْ كــل شيء لــه ســبب

وهذا منهج الأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام- فإِنّ نبينا ﷺ رعى الغنم.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «مـا بَعـث الله نبيّـاً إلاّ رعـى الغنم، فقال أصـحابه: وأنـت؟ فقـال: نعـم كنـت أرعاهـا عـلى قـراريط[2] لأهـل مكّة»[3].

وكان داود -عليه السلام- يصنع الدروع، قال سبحانه: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ

---

(١) ملتقط مِن «فتح الرحيم الرحمن» (ص٢٤٣- ٢٤٤).

(٢) والقيراط: جُزء مِن أجزاء الدينار، وهو نصف عُشرِه في أكثر البلاد، وأهل الشام يجعلونـه جزءاً مِن أربعة وعشرين. «النهاية».

(٣) أخرجه البخاري: ٢٢٦٢.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾[1] -صنعة لَبوس: أي: الدروع-، وكان زكرياء نجاراً[2].

***

٤٨-وادّرع جِـدّاً وكَـدّاً واجتنبْ صُـحبَةَ الحمقى وأربابَ الخَلَلْ

ادّرع: الدِّرع قميص مِن حديد يلبسه المقاتل، وفي «اللسان»: لَبُوسُ الحديد.

الجِدّ: الاجتهاد في الأمر.

والكدّ: الكدح والسعي.

المعنى: تسلّح بالجِدّ وتحمل التعب، لتحصيل المعاش كما يتسلّح المقاتل بلبسه الدرع والصبر.

واجتنب صحبة الحمقى وأَرباب الخَلَل: أي: اجتنب معاشرتهم؛ لأنّها تُعلِّم منطق البلهاء والمغفّلين.

وفي بعض النسخ: أرباب البَخَل.

وفي الحديث: «الرجل على دين خَليلِهِ فلينظر أحدكم مَن يُخالِل»[3].

قال الشاعر:

---

(١) الأنبياء: ٨٠.

(٢) أخرجه مسلم: ٢٣٧٩، من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

(٣) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم، مِن حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، وانظر «الصحيحة» (٩٢٧).

عن المرء لا تسـل وسل عن قريـنـه فكــل قــرينٍ بالمقــارَن يقتــدي

وعاشـر أولي التقوى تنل مِن تُقاهُـمُ ولا تصحب الأردى فتردى مع الرّدي

وقال الشاعر:

لـكـــل داءٍ دواءٌ يُستَـطَـــبُّ بـــه إلاّ الحماقَــةَ أعيــت مــن يُداويـهــا

وقال الأصمعي: «قلت لغلام مِن أبناء العرب: أيسرُّك أن يكون لك مائةُ ألـفِ درهم وأنّك أحمق؟ قال: لا والله، قلت: ولِـمَ؟ قـال: أخـاف أن يجْني علـيَّ حُمقـي جنايةً؛ تُذهِب مالي ويبقى حُمقي».

وقالوا: «الأحمق تتمنى أمُّه أنّها ثكلته، وتتمنى زوجته أنّها عدمته، ويتمنّى جارُهُ منه الوحدة، ويودُّ جليسه مِنه الوحشة».

قال الأحنف بن قيس: «إني لأجالس الأحمق الساعة فأجدُ ذلك في عقلي».

قال الشاعر:

اتَّـــقِ الأحـمـــق أن تـصـحـبَـــهُ إنّمــا الأحمــقُ كالثــوب الخَلَــقْ

كلمـــا رقَّعْـــتَ منـــه جـانـبـــاً حرَّكَتْــهُ الريــح وَهْنــاً فـانخــرق

وقال آخر:

مَن عاشــر الأشراف صــار مُشرَّفــاً ومُعاشِــرُ الأنـذال غيــرُ مُـشــرَّفِ

أو ما تـرى الجلـد الحـقيـر مُقبَّــلاً بالثـغـرِ لما صار جِلْـدَ المصحـفِ

***

٤٩ -بــين تبذيــرٍ وبُخْــلٍ رُتبــةٌ وكـــلا هذيـــن إنْ زادَ قَـتـــلْ

قال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾[1].

قال الإمام ابن جرير -رحمه الله-: «﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾: ولا تُفرِّق يا محمد ما أعطاك الله مِنْ مالٍ في معصيةٍ تفريقاً، وأصل التبذير: التفريق في السّرَف».

«إِنْ زاد»: في نسخة: «إِنْ دام».

يوجِّه الشاعر إلى توسّط المرء بين التبذير والبُخل، وأَن يحذر مِن الزيادة على الحدِّ فيهما، لأنه يُفضي إلى الهلاك، لقوله -تعالى-: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[2].

قال الإِمام ابن جرير -رحمه الله-: «ولا تمسك يا محمد يدك بُخلاً عن النفقة في حقوق الله، فلا تُنفِق فيها شيئاً إمساكَ المغلولةِ يدُه إلى عُنقِه، الذي لا يستطيع بسْطَها، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾، يقول: ولا تبسطْها بالعطيّة كلَّ البسط، فتبقى لا شيء عندك، ولا تجد إذا سُئلت شيئاً، تعطيه سائلَك ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ يقول: فتقعدَ يلومُك سائلوك إذا لم تعطهم حين سألوك، وتلومُك نفسُك على الإسراع في مالِك وذَهابه، ﴿مَّحْسُورًا﴾ يقول: مَعِيباً، قد انقُطع بك، لا شيء عندك تُنفقه»[3].

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ

---

(1) الإسراء: ٢٦-٢٧.

(2) الإسراء: ٢٩.

(3) «تفسيره» (٩/ ٩٨).

﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[1]، قال: «في غير إسراف ولا تقتير».

والمعنى: ما كان في غير إسرافٍ ولا تقتير فهو يُخلفه، ووَرد هذا اللفظ عن سعيد بن جبير أيضاً.

وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في «تفسيره»: «أي مهما أنفقتم من شيء فيما أمَرَكم به وأباحه لكم؛ فهو يُخلِفه عليكم في الدنيا بالبَدَل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب».

ومعنى يُخلِفه: يُعطي خلفَه، والإسراف: مجاوزة الحدِّ في الإنفاق بغير وجه حقّ.

والتقتير: التضييق في العيش والنفقة، كما قال -تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[2].

قال ابن كثير -رحمه الله-: «ليسوا بمبذّرين في إنفاقهم فيصرِفون فوق الحاجة، ولا بُخلاء على أهليهم فيُقصّرون في حقهم فلا يكْفونهم، بل عدْلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا».

قال الحسن البصري -رحمه الله-: «ليس في النفقة في سبيل الله سَرَف».

وقال إياس بن معاوية -رحمه الله-: «ما جاوَزت به أمر الله -تعالى- فهو سَرَف».

وقال غيره: «السَّرف: النفقة في معصية الله -عزَّ وجلَّ-».

قال الشاعر:

ذَهابُ المال في حمدٍ وأجرٍ ... ذهابٌ لا يُقال له ذَهابُ

---

(١) سبأ: ٣٩.

(٢) الفرقان: ٦٧.

عن أبي العُبَيدَين قال: سألت عبد الله -هو ابن مسعود رضي الله عنه- عن ﴿ٱلْمُبَذِّرِينَ﴾؟ قال: «الذين ينفقون في غير حقٍّ»[1].

المبذِّر: المسرف في النفقة[2].

*وتبذير المال: تبديده إسرافاً وإفساداً.

قيل: «هو الإنفاق في المعاصي»، وقيل: «هو أن يبسط يده في إنفاقه حتى لا يبقى منه ما يقتاته».

والفرق بين الجواد والمسرف: أنَّ الجواد حكيم يضَع العطاء مواضعه.

والمسرِفُ: كثيراً ما لا يصادف عطاؤه موضعه، فالجواد مَن يتوخى بماله أداء الحقوق الواجبة عليه حسب مقتضى المروءة؛ مِن قِرى الضيف، ومكافأة المُهدي، وما يقي به عِرْضَه على وجه الكمال، طيّبةً بذلك نفسه راضيةً؛ مؤمّلة الخَلَفَ في الدنيا والآخرة.

والمُبذّر يُنفق بحُكم هواه وشهوته؛ مِن غير مراعاة مصلحةٍ ولا تقدير، ولا يريد أداء الحقوق، وإنْ وصل إلى ذي حقّ.

قال السيد الشريف: الإِسراف: صَرْف الشيء فيما ينبغي زائداً على ما ينبغي، والتبذير: صَرْف الشيء فيما لا ينبغي»*[3].

---

(1) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (345).

(2) انظر «النهاية».

(3) ما بين نجمتين مِن «فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد» (1/ 533) ونقلهُ عن كتاب «التعريفات» للجرجاني.

قُلتُ: والحاصل أَنَّ المنفِق في الحقّ في المواضع الصحيحة مهما كثُرَ إنفاقه؛ فليس بمبذّر، وأن المنفِق في غير الحقّ وفيما لا ينبغي -ولو قَلّ-؛ هو المبذّر.

وفي ضوء هذه القواعد كثُر إِنفاق الصحابة -رضي الله عنهم- ومَن سار على نهجهم، نسأل الله أن نكون منهم.

قال بعضهم: «والمشهور: أنّ الإِسراف والتبذير بمعنى واحد لغة وشرعاً، وهناك مَن فَرَّق فقال: الإِسراف: صَرْف الشيء فيما ينبغي زائداً على ما ينبغي، والتبذير: صَرْف الشيء فيما لا ينبغي».

وهناك أقوال أخرى، والله أعلم.

***

٥٠-لا تَخُضْ في سبِّ ساداتٍ مَضَوا إنّهُم ليسوا بأهلٍ للزَّلَلْ

أي: لا تخُض في سبّ سادات المسلمين: وهم أَصحاب رسول الله ﷺ والتابعون، والعلماء وَرَثةُ الأنبياء -عليهم السلام- في التبليغ والعِلْم والفهم والدعوة إِلى الله -عزَّ وجلَّ-؛ فهؤلاء ليسوا أَصحاب الزلل والهوى؛ لأنهم بين الأجر والأجرين.

فعن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حكَم الحاكم فاجتهد ثمّ أصاب؛ فله أجران، وإذا حكَم فاجتهد، ثم أخطأ؛ فله أجر»(١).

لقد حفظ الله -سبحانه- الدين بهؤلاء، فقد قال رسول الله ﷺ: «إِنّ الله -تعالى-

---

(١) أخرجه البخاري: ٧٣٥٢، ومسلم: ١٧١٦.

يبعث لهذه الأمّة على رأس كلّ مائة سنة؛ مَن يجدّد لها دينها»[1].

فائدة: أشار الإمام أحمد إلى صحّة الحديث، فقد قال الذهبي في «سِيَر الأعلام» (١٠/ ٤٦): «قال أحمد بن حنبل مِن طُرق عنه: إنّ الله يُقيّض للناس في رأس كلّ مائة مَنْ يُعلّمهم السنن، وينفي عن رسول الله ﷺ الكذِب، قال: فنظرنا؛ فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز، وفي رأس المائتين الشافعي»[2]-رحم الله الجميع-.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه مِن العِباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالماً؛ اتخذ الناس رؤوساً جُهَّالاً فسُئِلوا؛ فأَفْتَوا بغير علمٍ، فضلُّوا وأضلُّوا»[3].

***

٥١-وتغافَلْ عن أمورٍ إنّه لم يفز بالحمدِ إلاّ مَن غَفَل

أي: أظهر من نفسك التغافلَ عن أمورٍ غير محمودة وقعت من الناس؛ لأنه لم يفز-أي: لم يظفر بالحمد؛ أي: الثناء عليه مِنَ الله -تعالى- ومِن الناس، إلاّ مَن غفل؛ أي: مَنْ ترك أمور الناس، ولم ينظر إلى عيوبهم. قاله القناوي[4].

قال الشاعر:

إذا كنت في كلّ الأمور معاتباً صديقك لم تلقَ الذي لا تعَاتبه

(١) أخرجه أبو داود والحاكم وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (٥٩٩).

(٢) انظر «الصحيحة» (٥٩٩).

(٣) أخرجه البخاري: ١٠٠، ومسلم: ٢٦٧٣.

(٤) انظر «فتح الرحيم الرحمن» (ص٢٦٩).

إِذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ... ظمئت وأيُّ الناس تصفو مشاربه

وقال آخر:

ليس الغبي بسيدٍ في قومه ... لكنّ سيد قومه المتغابي

وقال آخر:

ورُبّ غبيٍّ كنتُ أُحْسِنُ ودَّه ... وتَقْبُحُ لي أقوالُه والفعائلُ

تغاَفلْتُ عن أشياءَ منه وربما ... يَسرّكَ في بعض الأمور التغافلُ

وفي الحديث: «مِنْ حُسن إسلام المرء؛ ترْكه مَا لا يعنيه »[1].

*ويؤيد هذا المعنى تحريم الغيبة ونهيه ﷺ عن التجسّس، وتتبّع عيوب الناس كما في الحديث: «إياكم والظنّ، فإن الظنّ أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا»[2].

وعن معاوية -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك إن اتبعْتَ عورات المسلمين أفسدتهم، أو كدت تفسدهم»[3].

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه أتي برجل، فقيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمراً، فقال: «إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به»[4]*[5].

***

(١) رواه الترمذي وابن ماجه، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٨١).

(٢) أخرجه البخاري: ٦٧٢٤ ، ومسلم: ٢٥٦٣.

(٣) رواه أبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٤٠٨٨)، وابن حبان في «صحيحه»، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣٤٢).

(٤) رواه أبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٤٠٩٠).

(٥) ما بين نجمتين من «العطر الورْديّ» (ص١١٨).

٥٢-ليس يخلو المرءُ من ضِدٍّ ولو حاوَلَ العُزلَةَ في رأسِ جَبَلْ

المعنى: لا يخلو الإنسان مِن مضادِّين ومخالِفين وحاسدين ومعاندين؛ ولو فرَّ منهم إلى قمم الجبال، وإن كان نبياً مُرسلاً، قال -تعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾[1].

قال الشاعر:

ولستُ بناجٍ مِنْ مقالةِ طاعِنٍ ولو كنتُ في غارٍ على جبلٍ وعرِ
ومن ذا الذي ينجو من الناسِ سالماً ولو غابَ عنهم بين خافِيَتَي نسرِ[2]

***

٥٣-غِبْ عن النمّامِ وازجرْهُ فما بلَّغ المكروهَ إلاَّ مَن نَقَل

في بعض النسخ: «مِلْ عن النّمام».

النمّام: كثير النمّ، الذي ينقل الكلام بين الناس؛ ليوقع بينهم العداوة والبغضاء، ويصدّهم عن التآلف والتحابّ.

أي: اترك النمّام ودَعْه، ولا تتخذه صاحباً، فما بلّغ لك ما تكرهه نفسك، إلا مَنْ نقل إليك الحديث الذي تُبغضه، فإنّ مُبلِغك الشرّ كباغيه لك.

قال الشاعر:

يا مَن إليَّ قد وشى بنَقْلِ سوءٍ ولَغا
مذّمتي سمعْتُها مِنَ الذي قد بلَّغا

---

(١) الفرقان: ٣١.

(٢) الخوافي: ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خَفِيت.

وفي الحديث: «لا يدخل الجنة نمّام»[1].

وذكر بعض العلماء: أنّ مَنْ حُملت إليه النميمة تجب عليه ستة أشياء:

الأول: عدم التصديق؛ لأنه فاسق مردودُ الشهادة كما قال -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[2].

الثاني: نَهْيه عن النميمة؛ لقوله -تعالى-: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾[3].

الثالث: بُغْضه في الله -تعالى-.

الرابع: تَرْك الظن السيِّئ بالمنقول عنه؛ لقوله -تعالى-: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾[4].

الخامس: تَرْك البحث والتجسس؛ لقوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾[5].

السادس: تَرْك حكاية النميمة المنقولة؛ حتى لا تقع فيما نُهيت عنه.

ومِن المواقف الطريفة: «أنّ رجلاً دخل على عمر بن عبد العزيز فذكَر له عن رجل شيئاً، فقال له عمر: إنْ شئت نظَرنا في أمركَ، فإنْ كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾، وإنْ كنتَ صادقاً فأنت مِن أهل هذه الآية:

---

(١) أخرجه مسلم: ١٠٥، وفي لفظ: «لا يدخل الجنة قتّات»، أخرجه البخاري: ٦٠٥١، ومسلم: ١٠٥، والقتّات: النّمام، يُقال: قَتَّ الحديث يَقتُّه: إذا زوّره، وهيّأه، وسوّاه. «النهاية».

(٢) الحُجُرات: ٦.

(٣) لقمان: ١٧.

(٤) الحُجُرات: ١٢.

(٥) الآية السابقة.

﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾[1]، وإنْ شئت عفونا عنك؟ فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبداً».

***

٥٤-دارِ جارَ الدارِ إنْ جارَ وإنْ لم تجِدْ صبراً فما أحلى النُّقَلْ

(دارِ جار الدار) في بعض النسخ: دارِ جار السوء.

النُّقَل: جمع نُقلة، وهي التحول من مكان إلى آخر.

والمراد: اصبر على أَذى الجار وجَورِه، وقُل له قولاً ليّناً، وإنْ لم تستطع معه صبراً؛ فعليك بالانتقال، والتحول إلى مسكنٍ آخر.

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أنّ النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «اللهُمَّ إني أعوذُ بك مِن جارِ السُّوءِ في دارِ المُقامَةِ؛ فإنَّ جارَ البادِيَة يَتحوَّلُ»[2].

وقد ورد في منزلة الجار نصوصٌ كثيرة: قال –تعالى–: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾[3][4].

وفي الحديث: «ما زالَ جبريل يوصِيني بالجار حتى ظننتُ أنّه سيوَرِّثُه»[5].

---

(١) القلم: ١١.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وابن حبان وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (٣٩٤٣).

(٣) النساء: ٣٦.

(٤) ذكر الإمام ابن جرير –رحمه الله– أقوالاً في تفسيره، ثمّ رجح أَنّ معنى الجار الجُنُب في هذا الموضع: «الغريب البعيد مسلماً كان أو مشركاً، يهودياً كان أو نصرانياً».

(٥) أخرجه البخاري: ٦٠١٥، ومسلم: ٢٦٢٥.

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»[1].

وعن ابن عمر –رضي الله عنهما–قال: «كم مِن جار متعلق بجاره يومَ القيامة! يقول: يا ربّ، هذا أغلق بابه دوني، فمنَع معروفه»[2].

وعن الحسن أنّه سُئل عن الجار، فقال: «أربعين داراً أمامه، وأربعين خلفه، وأربعين عن يمينه، وأربعين عن يساره»[3].

في قوله ﷺ: «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيُكرم جاره» معنىً لطيف، وهو أنه إذا أمر بإكرام الجار مع الحائل الذي بين الإنسان وبينه، فينبغي أن يراعيَ حقَّ الحافِظَيْن اللذَين ليس بينه وبينهما جدار ولا حائل[4]، فلا يؤذيهما بإيقاع المخالفات...فينبغي إكرامهما ورعاية حقِّهما بالإكثار مِنَ الطاعات وتجنُّب المحرَّمات، فهما أولى بالإكرام مِنْ جميع الجيران[5].

قلت: وهذه المداراة لا تنحصر في الجار، بل إنّ مجالاتها رحبة، وأَبوابها واسعة، في الأرحام والأقربين والأَصدقاء وعموم أهل الإسلام، بل وعامّة النّاس مِن غير المسلمين، لدعوتهم إلى الله –تعالى– وإخراجهم مِن الظلمات إلى النور، وإِسعادهم في الدارين بإذن الله –سبحانه–.

---

(١) أخرجه البخاري: ٦٠١٩، ومسلم: ٤٧.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، «صحيح الأدب المفرد» (٨١).

(٣)أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، «صحيح الأدب المفرد» (٨٠).

(٤) يعني الملكين الموكلين بتسجيل ما يَلفظ مِن أقوال، وما يعمل من أعمال، قال –تعالى–: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، ق: ١٨.

(٥) انظر «فتح الرحيم الرحمن» (ص٢٨٦).

وفي الحديث: «أَحْسِن إلى مَن أَسَاءَ إِلَيك»[1].

مع التنبيه إلى أنَّ للمداراةِ شروطاً وضوابط، ولا يكون ذلك بمعصية الله -تعالى- وتجاوز حدوده -سبحانه-.

***

٥٥-جانبِ السُّلْطانَ واحذَرْ بَطْشَهُ لا تُعانِد مَن إذا قال فَعَل

لا تُعانِد: في بعض النسخ: «لا تُخاصِم».

قال في «اللسان»: «قال الزجّاج: في قوله -تعالى-: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**﴾[2]، إنما سمِّي سلطاناً؛ لأنّه حُجّة الله في أرضه...واشتقاق السلطان مِن السليط»، وفي «اللسان» أيضاً: «...وقوله -تعالى-: ﴿**هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**﴾[3]، معناه ذهب عني حُجّته، والسلطان: الحُجّة، ولذلك قيل للأمراء: سلاطين؛ لأَنهم الذين تقام بهم الحُجّة والحقوق».

وجاء في العَرْف النَّدِّيّ: «المراد بالسلطان: مَن له سلاطة أو قوّة أو شوكة؛ وليس المراد به شخصاً بعينه»[4].

قلت: يوجّه الشاعر إلى مجانبة السلاطين، والابتعاد عن الولاة، والحذر مِن

---

(١) رواه أبو عمر بن السماك في حديثه، كذا في «السلسلة الصحيحة» (١٩١١)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٦٧).

(٢) هود: ٩٦.

(٣) الحاقة: ٢٩.

(٤) نسخة الجامعة: (ص٦٧٥).

بَطْشهم، وعدم معاندتهم؛ لأَنهم قادرون -بإذن الله- على فِعل ما يقولون.

وقد قال بعضهم: «إنّك لا تصيب مِن دنيا الولاة شيئاً؛ إلاّ أصابوا مِن دينك ما هو أفضل منه».

* عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله: «مَن بدا جفا، ومَن اتبع الصيد غَفَلَ، ومَن أتى أبواب السلطان افتتن»[1].

وقال بعض المتقدمين: «إذا رأيت عالماً يختلف إلى الأغنياء؛ فاعلم أنَّه مُراءٍ، وإذا رأيت عالماً يختلف إلى الأمراء؛ فاعلم أنَّه لصٌّ».

وعن ميمون بن مِهران قال: «إنَّ لصحبة السلطان خطرين: إِنْ أطعته خاطَرْت بدينك، وإِنْ عَصَيْتَه خاطَرْت بنفسك، والسلامةُ ألّا يعرفك».

وعن الضّحاك بن مزاحم قال: «إِنّي لأتقلّب الليل كلَّه على فراشي؛ ألتمس كلمة أُرضي بها سلطاني، ولا أُسخط بها خالقي، فلا أقدر عليها» *[2].

والمراد مِن الابتعاد عن السلطان؛ عدم الافتتان بتحريم حلال، أو تحليل حرام، أو إقرار ما يَجِبُ فيه الإنكار، فالنجاةَ النجاة.

وأمّا إذا اقتضى الأمر الدخول، وبين يدي السلطان المُثول، فلا تنسَ مَراقَبة مَن خلق الأبدان والجوارح والعقول، وأَخلِص النُّصح لله -تعالى- بالحِكْمة والموعظة

---

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي، وانظر «الصحيحة» (١٢٧٢). و(من بدا جفا) أي: من قطن بالبادية صار فيه جفاء الأعراب. قاله في «الفيض» (٦/ ٩٤).

(٢) ما بين نجمتين مِن «فتح الرحيم الرحمن» (ص٢٨٨-٢٨٩) بتصرف.

الحَسَنة، قال -تعالى-: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1].

***

٥٦-لا تـلِ الحُكـمَ وإنْ هـم سألــوا ... رغبــةً فيــكَ وخالــفْ مَــن عَـــذَلْ

٥٧-إنَّ نِصْـفَ النـاسِ أعـداءٌ لمــن ... وَلِيَ الأحكـــامَ هـــذا إنْ عـــدلْ

٥٨-فهْـوَ كـالمحبوسِ عـن لـذّاتــهِ ... وكِــلا كَفَّيْــهِ فـــي الحشـــرِ تُـغَـــلّ

عَذل: لام وعاتَب.

*تُغَلّ: تُجمع إِلى عُنقه بطوقٍ مِن حديد، قال -تعالى-: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾[2].

يعني: إِنّ أَيديَهم موثقةٌ إِلى أعناقهم؛ لا يستطيعون أَن يبسطوها بخير[3].

يقول الشاعر: حذارِ من أن تتولى الحُكم، وإِنْ طلب الناس منك ذلك رغبةً فيك، لِما يأملونه مِنْ عدلك وإِنصافك، وخالِف مَن لامك وعاتبك على عدم قَبولها، ولا تُلبِّ رغبته، فإِنّ نصف الناس أعداءٌ لمن قضى بينهم أو وليَ أَحكامهم -هذا إِن عَدَل- فكيف إِذا كان عن الصواب قد عَدَل، فهذا الذي يلي الحُكم كالمحبوس عن لذاته؛ *من كونه لا يمشي إِلا بمركوبٍ -فائق- يركبه، وبجماعة تمشي خلفه، وغير ذلك، فإِن لم يجد ذلك؛ لم تسمح نفسه بخروجه إِلى المحل الذي يريده، فصار محبوساً عن شهوته، ثمّ تكون عاقبة أمره أَن تُغلّ يداه إِلى عُنقه يوم القيامة*[4].

---

(١) الطلاق: ٢-٣.

(٢) يس: ٨.

(٣) انظر تفسير الإمام ابن جرير «جامع البيان في تأويل آي القرآن».

(٤) ما بين نجمتين عن «فتح الرحيم الرحمن» للقناوي -رحمه الله-.

وفي الحديث: «لَيُوشِكُ رَجُلٌ أَنْ يَتَمَنَّى أَنَّهُ خَرَّ مِنَ الثُّرَيَّا وَلَمْ يَلِ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئاً»(١).

وقد يستدلّ بعضهم بقوله -تعالى- في حق يوسف -عليه السلام-: ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾(٢)، فهذا له شروطه وضوابطه، ومِن أبرز ذلك: أَن يتَرجَّح لديه أَمْنُ الفتنة.

***

٥٩-إن للنقصِ والاستثقالِ في	**لفظةِ «القاضي» لوَعْظاً و مَثَلْ**
٦٠-لا تُوازَى لذَّةُ الحكم بما	**ذاقَهُ الشخصُ إذا الشخصُ انعَزلْ**
٦١-فالولاياتُ وإن طابتْ لِمَنْ	**ذاقَها فالسمُّ في ذاك العَسَلْ**
٦٢-نَصَبُ المنصِبِ أَوْهَى جَلَدي	**وعنائي مِن مداراةِ السّفلْ**

في بعض النُسخ: إنّما النَّقصُ والاستثقالُ في لفظة «القاضي» لوَعْظٌ ومثَل.

الاسم المنقوص لا تظهر فيه الضمّة والكسرة عند الرفع والجرّ، تقول: هذا القاضي؛ فهنا لم تظهر الضمةُ، وتقول: سلّمتُ على القاضي؛ فهنا لم تظهر الكسرة، فالضمة والكسرة تُقدَّران تقديراً، والمانع من ظهورهما الثِّقَل، وهذا هو الاستثقال الذي عناه الشاعر.

والمعنى: إنّ في النقص والاستثقال في كلمة (القاضي) ما يكفينا أَن نذَّكِر ونتعظ، لننأى بأنفسنا عن القضاء وتَبِعاتِه.

---

(١) أخرجه أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، وانظر «الصحيحة» (٣٦١).

(٢) يوسف: ٥٥.

لا تُوازَى لـذَّةُ الحكم بما ... ذاقَهُ الشخصُ إذا الشخصُ انعَزلْ

أي: لا تُقدّر لذةُ الحُكم ومتعته -مهما طالت مدتها- بما يتجرّعه المرء مِن مرارة العزل.

فالوِلاياتُ وإنْ طابتْ لِمَنْ ... ذاقَها فالسّمُّ[1] في ذاك العَسَلْ

*الوِلايات: جمع وِلاية، وهي البلد التي يَحكمها الوالي؛ والمراد: تولّي الأمر.

والمعنى: إنَّ تولّي الأمر وإن كان حُلوَ المذاق، فإنه كالعسل المشوب بالسمّ؛ فشاربُه إلى الموت يُساق.

فإنّ السُّمَّ قد لا يَظهر أثَرُه في أول لحظة؛ لكن لا بُدّ أن يعمل السمّ عَمله؛ والمراد بالسّمِّ هنا: الكِبْر والتعالي، وظُلم العباد المقرون بسهام الليل: دعوات المظلومين.

قال الغمري -رحمه الله-: «العسل: ما يَنشأ عن الولايات مِن حلاوة الأمر والنهي، والنِّعمة والنُّصرة والسطوة والعلو والعَظَمة، وغير ذلك ممّا تتمنّاه النفس مِن مناصب الدنيا...»[2].

نَصَبُ المنصِبِ أَوْهَى جَلَدي ... وعنائي مِن مُداراةِ السّفَلْ

نَصَب المنصِب: تَعَبُه.

أَوْهَى جلَدي: قوتي وتَحمُّلي، وفي بعض النُسخ أوهى جسدي.

السَّفَل: أَراذل الناس، قال الجوهري: «السَّفِلة: السُّقاط من الناس»[3].

---

(١) يجوز في سينها الفتح والضم والكسر.

(٢) مخطوطة «العَرْف النَّدِّيّ» (ورقة: ٩٧) بتصرف يسير.

(٣) انظر «اللسان»، وفي «المحيط»: «سِفْلة الناس: أسافلهم وغوغاؤهُم».

والمعنى: إنّ منصب الحُكم ذهَب بقوّتي؛ لما فيه مِن تعبٍ ومشقة، وأضعف تحمُّلي، وكذا أرهقتني ملاطفتي وملاينتي الأراذل من الناس.

وفي الحديث: «إنَّ صاحب السلطان على باب عَنَت إلاَّ مَن عصم الله -عزّ وجل-»[1].

***

٦٣-قصـّرِ الآمالَ في الدُّنياَ تفُزْ فدليلُ العقلِ تقصيرُ الأَمَلْ

المعنى: استشعرْ قربَ الرحيل وسرعة انقضاء العمر تُفلحْ، فالآخرةُ خيرٌ وأبقى، ومما يدل على فطنةِ المرء وعقله، تقصيرُه الأملَ في هذه الحياة الدنيا؛ لأنها فانية ذاهبة، وهي دار ممرّ لا دار مَقرّ.

ومَن أكثَر مِن ذِكْر الموت، وقصَّر أمَله في الحياة الدُنيا؛ أصلح ما بينه وبين الله -تعالى- ثمّ ما بينه وبين العباد، فاستقام قلبُه ولسانُه وجوارحُه.

وفي الحديث: «صَلاَحُ أَوَّلِ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِينِ، وَيَهْلِكُ آخِرُهَا بِالْبُخْلِ وَالأَمَلِ»[2].

قال بعضهم:

الموت لا بُدّ منه فاستعدَّ له إنّ اللبيب بذِكر الموت مشغولُ
فكيف يلهو بعيشٍ أو يلذُّ به مَنِ التُّرابُ على خديه مجعولُ

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، وانظر «الصحيحة» (٣٢٣٩).

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد»، والطبراني في «المعجم الأوسط»، وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (٣٤٢٧).

وإِذا كان تقصير الأمل دليلَ العقلِ؛ فإِنَّ تطويلَ الأمل دليل الجنون.

***

٦٤-إنّ مَن يطلبُه الموتُ على غِرَّةٍ منه جديرٌ بالوَجَل

الغِرّة: الغَفْلة.

جديرٌ: خليقٌ وحقيق.

الوَجَل: الفَزع، وقد يَوْجَل ويَيْجل فهو وَجِل(١).

المعنى: إِنّ مَن يسعى إليه الموتُ حتى يأتيَه بغتةً؛ لخليقٌ بالفَزع.

قلت: فاجعل هذه العبارات شعاراً، واتخذها دثاراً.

إنّ مَن يأتيه الموت بغتة؛ لخليقٌ بالوَجَل من الله -عزّ وجلّ- فليسارع إِلى الائتمار بأمر الله -سبحانه- والانتهاء عن نواهيه، وأَداء حقوق العباد، والمسارعة بالتوبة والإنابة، ويا عجباً لمن يَطلبه الموت على غِرّة، وهو غارقٌ في الذنوب، غير مبالٍ بالإكثار من العيوب، ولا هو بالسائل عمّا سينجرّ عليه مِن الكروب.

وليس الوَجلُ مِن الموت لذاتِه، ولكن لما يكون بعده من أمور مُفزعة؛ وأشياءَ مرعبة.

فلَو أنّا إِذا مِتْنا تُركنا ... لكان الموت راحةَ كلِّ حيّ

ولكنّا إِذا مِتْنا بُعثنا ... ونُسأل بعدها عن كل شيّ

إنه الوَجَل من القبر.

إِنه الوَجَل مِن النفخ في الصور والحشر والحساب والقِصاص والنار وأهوال يوم القيامة.

---

(١) «النهاية».

وقوله: «إِنّ مَنْ يطلبه الموت» على الحقيقة؛ لا على المجاز».

فعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنّ الـرِّزقَ ليطلـب العبد كما يطلبه أجله»[١]، وفي رواية: «أكْثرَ مما يطلُبه أَجله»[٢].

وفي الحديث عن جابر -رضي الله عنه- مرفوعـاً: «لـو أنّ ابـن آدمَ هَـرَبَ مِـن رِزْقِهِ كما يهربُ مِن الموتِ؛ لأدْرَكَهُ رزقُهُ كما يُدركُهُ الموتُ»[٣].

***

٦٥-غِـب وزُر غِبّـاً تَـزِدْ حُبّـاً فَمَــنْ أَكثــرَ الــتَّردادَ أَصـمـــاه المَلَـــلْ

غِب: فعل أمر، وهو ضدّ الحضور.

غِبّاً: أي يوماً بعد يوم[٤].

أصماه: قتَله، وفي بعض النسخ: أَضناه، والضنى: شِدَّةَ المرض، حتى يَنْحَلَ الجسم[٥].

يقـول الشاعر: لا تجعل زيارتك كـلّ يـوم، بـل اجعلــها يــوماً بعـد يـوم، أو زُر، وغِـب عـن الزيارة؛ فهذا أحـرى أن يزيـد المحبَّـة، والإِكثـار مـن الزيـارة يجـرُّ الملالة.

---

(١) أخرجه ابن حبّان في «صحيحه» والبزار، وانظر « صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٠٣).

(٢) أخرجه الطبراني، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٠٣).

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» وغيره، وانظر «الصحيحة» (٩٥٢).

(٤) جاء في «النهاية»: «الغِبّ من أَوْراد الإِبل: أن تَرِدَ الماء يوماً وتَدَعَهُ يوماً ثم تعود، فنَقَله إِلى الزِّيارة وإِن جـاء بعد أيام، يقال: غَبَّ الرجُل إِذا جـاء زائـراً بعـد أيـام، وقــال الحسـن: كـلّ أسبُوع».

(٥) وانظر «النهاية».

وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «زُر غِباً تَزْدَد حُباً»(١).

ولله درُّ القائل:

عليك بإغباب الزيارة إنّها إذا كثُرتْ صارت إلى الهجر مسلكا
فإني رأيت الغيث يُسأم دائماً ويُسأل بالأيدي إذا هو أَمْسَكا

قال الحافظ -رحمه الله-: «وذَكر أبو عبيد في الأمثال أنّه -أي حديث «زُر غبّاً تَزْدَدْ حُبّاً»- مِن أمثال العرب، وكان هذا الكلام شائعاً في المتقدمين فرويناه في «فوائد أبي محمد السقاء»، قال: أنشدونا لهلالِ بنِ العلاء:

الله يعلمُ أنني لك أخلصُ الثقلين قَلْبا
لكن لقولِ نبيِّنا: زوروا على الأيام غبّا
ولقوله: مَن زار غبّـ ـاً منكمُ يزداد حبا

قلت: -أي الحافظ- وكان يُمكنه أن يوجز فيقول:

لكن لقول نبيِّنا مَن زار غبَّا زاد حُبّا

وقد أنشدونا لأبي محمد بن هارون القرطبي راوي الموطأ:

أقِلَّ زيارةَ الإخوا نِ تَزْدَدْ عندهم قُربا
فإنّ المصطفى قد قا لَ زُر غِبّاً تَزِد حُبّاً»(٢)

قلت: الأصل في الزيارة ما تقدّم ذِكْره عن النبي ﷺ؛ فإنّه أدْعَى لازدياد المحبة، والمودّة،

---

(١) رواه الطبراني، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٨٣).

(٢) انظر «فتح الباري» (١٠/ ٤٩٩).

وإبعاد السآمة، لكن قد تَرِدُ الاستثناءات والضرورات، ومِن ذلك ما قاله الإمام البخاري -رحمه الله- في «صحيحه» (كتاب الأدب): (باب هل يزور صاحبه كلّ يوم أو بكرة وعشياً)؛ ثمّ ذكر تحته حديث عروة بن الزبير أنّ عائشة زوج النبيّ ﷺ قالت: «لم أعقِل أبوَيَّ إلاّ وهما يَدينان الدين، ولم يمرّ عليهما يومٌ إلاّ يأتينا فيه رسولُ الله ﷺ طرفَي النهار بُكرةً وعشية، فبينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل: هذا رسول الله ﷺ -في ساعة لم يكن يأتينا فيها- قال أبو بكر: ما جاء به في هذه الساعة إلا أَمْر، قال: إني قد أُذِن لي بالخروج»[1].

قلت: والأمور تُقَدَّرُ بقدْرها جمعاً بين النصوص.

***

٦٦-خُذْ بنصلِ السيفِ واتركْ غِمْدَهُ ... واعتبِرْ فضلَ الفتى دون الحُلَلْ

٦٧-لا يضرُّ الفضلَ إقلالٌ كما ... لا يضرُّ الشمسَ إطباقُ الطّفَلْ

نَصْلُ السيف: حَدُّه، وقد ورد بهذا اللفظ في نُسخٍ أُخرى.

الحُلل: جَمعْ حُلّة، وهي ثوبان من جنسٍ واحد.

والطَّفَل: آخر النهار.

والمعنى: لا تَزِن الناس بثيابهم وحُلَلِهم، بل انظر إِلى دينهم وعِلْمهم وأخلاقهم، فمن نظَرَ إِلى الثياب والحُلل، وأَغفلَ الدين والخلق؛ كان كمن أَخَذَ غلاف السيف وترَك حدَّه، وماذا يُغني عنه هذا الغلاف؟!

وإِنّه لا يضرُّ أَهلَ الفضلِ الإِقلالُ مِن هذه الدنيا؛ كما أنّ إِطباق الطّفَل لا يَضرُّ الشمس؛ *فإِنّه ما دامت الشمس موجودة فالنّهار

---

(١) أخرجه البخاري: ٦٠٧٩، وانظر ما جاء في شرحه وبيانه -إن شئت- في «فتح الباري» (١٠/ ٤٩٨).

موجود*[1].

قال الملاح:

إنّما المرء بعلمٍ عُلما ليس بالأموالِ يحوي عِظَما
وكذا الفضلُ كرزقٍ قُسِما لا يَضُرّ الفضلَ إقلالٌ كما
لا يَضرّ الشمسَ إطباقُ الطَّفَلْ[2]

وقال الشاعر:

ما غيَّر الجُلُّ[3] أخلاقَ الحمير ولا نقْشُ البرادِع[4] أخلاقَ البراذينِ[5]

وقال آخر:

ترى الرجلَ النَّحيفَ فتزدريهِ وفي أثوابه أسَدٌ مَزيرُ[6]
ويُعجِبُكَ الطرير[7] فتبتَليه فيُخلِفُ ظنَّك الرجلُ الطَّريرُ

---

(١) ما بين نجمتين مِن «فتح الرحيم الرحمن» (ص٣٣٠).

(٢) تخميس الملاح، وذكرها القناوي -رحمه الله- في المصدر السابق.

(٣) الجُلُّ: ما تُغطّى به الدابة لتُصان، جَمْعها: جِلال وأَجلال، وذكَر ابن منظور -رحمه الله- في «اللسان» أنّ الجيم بالفتح والضمّ.

(٤) البرادع: -بالدال والذال-: جمع البردعة، وهو ما يوضع على الحمار أو البغل ليُركب عليه؛ كالسّرج للفرس، انظر «الوسيط».

(٥) البَراذين: جمع البِرذَون: يُطلق على غير العربي من الخيل والبغال من الفصيلة الخيلية، عظيمُ الخِلقة، غليظُ الأعضاء، قويُّ الأرجل عظيمُ الحوافر. انظر «الوسيط».

(٦) المزير: الشديد القلب.

(٧) الطرير: ذو المنظر والهيئة الحسنة.

بُغــاث الطيــر[1] أكثرهــا فِراخــاً وأُمُّ الصَّقــرِ مِقْــلاتٌ[2] نــزورُ[3]

ضِعــاف الطيــر أطولهــا جسومــاً ولــم تطُــل البُــزاةُ[4] ولا الصـقورُ

لقــد عظُــمَ البعيــر بغيــر لُــبٍّ فلــم يَسْتغْــنِ بالعِظَــمِ البعيــرُ

يُصَّرِفــهُ الصَّغيــرُ بكُــلِّ وجــهٍ ويحبسُــهُ عــلى الخَسـفِ[5] الجريـرُ[6]

وتضربــه الوليــدة بالهَــرَاوَى[7] فــلا غِيَــرٌ لـديــه ولا نكيــرُ

***

٦٨-حُبُّـكَ الأوطـانَ عَجْـزٌ ظاهــرٌ فـاغترِبْ تلـقَ عـن الأهــلِ بــدلْ

في نسخة «فاغترب تلْقَ عن الأصل بَدَل».

***

٦٩-فُبمكــثِ المــاءِ يبقــى آسِنــاً وسُــرى البـدرِ بــه البـدرُ اكْتَمَــلْ

آسناً: أي نَتِناً.

أي: تعلُّقك بحب الوطن في امتناعك من السفر عَجْزٌ ظاهر، فاغترب، وسافر

(١) بُغاث الطير: ما لا يصيد منه.

(٢) المقلات: التي لا يعيش لها ولد، أو التي تضع واحداً ثم لا تَحمل.

(٣) نزور: من النَّزر، وهو القليل.

(٤) البُزاة: جمع (البازي)، وهو: جنسٌ مِن الصقور الصغيرة، أو المتوسطة الحجم، تميل أجنحتها إلى القِصَر، وتميل أرجلها وأذنابها إلى الطول. انظر «المعجم الوسيط».

(٥) الخسف: الذل.

(٦) الجرير: الحبل.

(٧) الهراوى: جمع هِرَاوَة: وهي العصا.

تَلْقَ بدلاً عنِ الأهل -أو الأصل- وذِكْرُ البدل لِدَفْع وحشة الغُربة، يقول: فإن مُكثَ الماء في المكان نفسه واستمراره مجلبة للنتَن، كما أنّ الهلال لا يكتمل نوره إلا بالسير والحركة.

وقد حَمَلَ عَدَدٌ مِن الشُّرّاحِ هذا على طلب العلم والفوائد، وذكروا رحيل موسى للاستفادة مِن الخضر -عليهما السلام-، وذكروا أيضاً مِن حديث جابر -رضي الله عنه-: «أنه بلغه حديثٌ عن رجلٍ مِن أصحاب النبيّ ﷺ، -قال-: فابتعت بعيراً، فشددت إليه رحلي شهراً، حتى قدمتُ الشامَ، فإذا عبد الله بن أنيس، فبعثْت إليه أنّ جابراً بالباب، فرجع الرسول فقال: جابر بن عبد الله؟ فقلت: نعم، فخرج فاعتنقني، قلت: حديث بلغني لم أسمعه؛ خشيتُ أن أموت أو تموت، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: يحشر الله العباد -أو النّاس- عُراة غُرلاً بُهْماً، قلت: ما بُهْماً؟ قال: ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يَسْمعه مَن بَعُدَ -أحسبه قال: كما يسمعه مَنْ قَرُب-: أنا الملك، لا ينبغي لأحدٍ مِن أهل الجنة يدخل الجنة وأحدٌ من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل النار يدخل النار وأحدٌ مِن أهل الجنّة يَطلبه بمظلمة، قلت: وكيف؟ وإنما نأتي الله عراة بُهْماً؟ قال: بالحسنات والسيئات»[١].

وإنّه يَحصُل للمرء فوائد عديدة من الاغتراب[٢]:

قال الإمام الشافعي -رحمه الله-:

تغرّب عن الأوطان في طَلَبِ العُلى وَسَافِرْ فَفِي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» وغيره، والبخاري في «صحيحه» تعليقاً مجزوماً به وموصولاً في «الأدب المفرد»، وانظر صحيح «الأدب المفرد» (٩٧٠)، وقد تقدّم.

(٢) وفي الحديث: «سافروا تصحّوا، واغزوا تستغنوا»، أخرجه أحمد وغيره، وانظر «الصحيحة» (٣٣٥٢).

تَفـــرُّجُ هـــمٍّ واكتســـابُ معيشـــةٍ وعِلــمٌ وآدابٌ وصُحبـــةُ ماجِـــدِ

وقيل في هذا المعنى:

كَثــرةُ الـمُكــثِ فــي المنــازل ذلٌّ سافِــرَنْ سفـــرةً بـهـــا تتفـنّـــن

لا تـــرى المـــاءَ في الـغـديــر زُلالاً وإذا طـــال مُكثُـــه يَـتَـعـطـــن!

ونقل صاحب «العطر الورْديّ» هذه الأبيات وتُنسب للإمام الشافعي -رحمه الله-:

ارحـل بنفسـك عـن أرض تُضام بهـا ولا تكـن بفـراق الأهــل في حَـرَقِ

الكُحل نوعٌ مـن الأشجــار منطــرحٌ في أرضـه كالثرى يبـدو عـلى الطـرقِ

لـــمّا تغـــرّب نـــال العــزَّ أجـمعَــه وصار يُحمـل بـين الجفــن والحَــدَقِ

قلت: وفي الحديث: «إِنَّ الرجل إذا مات بغير مولده؛ قيس له مِن مولده إلى منقطع أثره في الجنة»[1].

٧٠-أيّهـــا العائـــبُ قـــولي عَبثـــاً إنّ طيـــبَ الـــوردِ مـــؤذٍ بالجُعَـــلْ

في بعض النسخ: «عابثاً».

أراد الشاعر أن يدفع اعتراض المعترضين، وحسد الحاسدين؛ لأنّه اعتراض حافزه العبث، ثمّ بيّن أنّ رائحة الورد الزكيّة تؤذي الجُعل؛ ذلك الذي يدهده الخُرء بأنفه، وهؤلاء قد تأذّوا مِن شعره الذي فاح ريحان توجيهاته، ومِسْكُ إفاداته.

وقد قال الشاعر:

وكـم مِـن عائـبٍ قـولاً صـحيحـاً وآفتُـــه مـــن الفـهـــم السقيـــم

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، والنسائي «صحيح سنن النسائي» (١٧٢٨)، وابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (١٣٠٩)، وانظر المشكاة برقم (١٥٩٣).

ولكـــن تَـأخـــذ الأذهـــان مـنـــه   علـــى قـــدر القـرائـــح والفُهـــومِ

***

٧١-عَدِّ عـن أسـهُمِ لَفْظـي واسـتَتِرْ   لا يصـيبنَّكَ سـهمٌ مـن ثُـعَـلْ

ثمّ حذَّر هذا النوع مِن الناس مِن أسهم ألفاظه بالردّ عليهم، وفي بعض النُسخ «أسهم لحظي»[(١)].

قال الشيخ الغمري -رحمه الله-: «ومِن المعلوم أنّها أسرع قَتْلاً وأَعجَلَ فتكاً مِن سهام القِسيِّ، فعدِّ عنها واستتر منها؛ مخافةَ أن يصيبك سَهْمٌ منها فيكونَ سببَ قتلك، وأيضاً فإِنَّ معشر بني ثُعل موصوفون برمي السهام، فسهامهم لا تخطئ في رميها»[(٢)].

***

٧٢-لا يغـرنَّك لـينٌ مـن فتـى   إنّ للحيّـاتِ لينـاً يُعْتَـزَلْ

حذَّرَ الشاعر أن يُخدَع الرجل أو يغتر بليّن الملمس، فما كلُّ ليّنٍ بنافع، بل إنّه قد يَضر أشد الضرر، إذْ للحيات لينٌ، لكنه يُخشى ويُجتنب ، فهو ينبّه إلى تعظيم قَدْر مَن كان ذا سَمْتٍ حَسن، ويحذّر مِن استفزازه وإثارته؛ لما يوقعه بالمعتدي حينما ينتصر بالحقّ.

***

٧٣-أنـا مثـلُ المـاءِ سَهْـلٌ سائـغٌ   ومتـى سُخّـن آذى وقَـتَـلْ

سائغ: أَي يسوغُ لمن شربه فلا يغصّ به كما يغصّ الغاصّ ببعض ما يأكله من

---

(١) يُقال: لحَظه بالعين لَحْظاً: نظر إليه بمؤخر عينه مِن أحد جانبيه.

(٢) انظر «العَرْف النِّدِّيّ» (ورقة: ١٠٠).

الأَطعِمة[1].

شَبَّه الشاعر نفسه بالماء في السهولة والليونة والمداراة، ولكنه إِذا اعتُدِيَ عليه فإِنه يؤذي كما يؤذي الماء إِذا سُخِّن، وقد قال بعضهم: «لو تُركَ القطا ليلاً لنام».

***

٧٤-أنا كالخيزور صَعْبٌ كَسرُهُ وهْوَ لَدْنٌ كيفما شئتَ انفتلْ

اللّدْن: اللين.

شبّه الشاعر نفسه بالخيزُران -عود معروف- وله صفتان: ليّن يُتثنّى، ويَصْعُبُ كَسْره.

وكأنه يقول: أنا مِن شدّتي وقوتي لا أنكسر، ولا يُستطاع إيذائي، فاحذر أن تتجاوز الحدّ، وأنا مع ذوي الأخلاق لَيّن سَهْل، أُداري وأُلبِّي.

***

٧٥-غيرَ أنّي في زمانٍ من يَكُنْ فيه ذا مالٍ هو المولى الأجلّ

٧٦-واجبٌ عند الورى إكرامُهُ وقليلُ المالِ فيهم يُسْتقَلّ

أشار الشاعر إلى عدم الالتفات إِلى حُسن شمائله، وجمال فضائله؛ لأنه في زمن يُعظّمُ فيه صاحب المال، فإِنّه عندهم المكرَّم، وهو دوماً في المجالس مِن يقدَّم، والفقير عندهم لا يُحترم.

وهؤلاء يُوجبون على أنفسهم إِكرام ذوي الأموال فهم عليهم يَتسابقون، وهم عن الفقراء معرِضون.

---

(١) قاله الإمام ابن جرير -رحمه الله- في «تفسيره» عند تفسير قوله -تعالى-: ﴿سَآيِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾، النحل: ٦٦.

وهذا يذكّرنا بحديث سهل -رضي الله عنه- قال: «مرَّ رجل على رسول الله ﷺ فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حَرِيٌّ إنْ خطَب أن ينكح، وإنْ شفَع أن يُشفّع، وإِن قال أن يستمع، قال: ثم سكت، فمرَّ رجل مِن فقراء المسلمين، فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حَرِيٌّ إنْ خطَب أنْ لا ينكح، وإنْ شفَع أنْ لا يشفّع، وإِنْ قال أن لا يستمع، فقال رسول الله ﷺ: هذا خيرٌ مِن ملء الأرض مثل هذا»[1].

***

٧٧-كلَّ أهلِ العصرِ غُمْرٌ وأنا ... منْهُمُ فاتْرُكْ تفاصيلَ الجُمَلْ

الغُمر: مَنْ لم يجرّب الأمور[2].

وأدخلَ الناظمُ نفسه معهم -أي في الاتّصاف بقلّة العلم والتجربة-؛ تأكيداً للقضية الكُلِّيَّة، وهضماً لنفسه، وتواضعاً لربّه، ومِن المعلوم أنَّ «مَن تواضع لله رفعَه الله».

قال القناوي -رحمه الله-: «فاترك تفاصيل الجُمل: أَمَرَ بترك البحث والنظر في أحوال الخلق بقوله: «فاترك تفاصيل الجُمَل» أي: اترك تفصيل الأشياء المجملة المجموعة، وعليك بنفسك، فاجتهد في خلاصها بالأعمال الصالحة، ولا تنظر إلى عيوب غيرك؛ لأنَّه تضييع للزمان فيما لا يعنيك، ومِن حسن إِسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

ولله در القائل:

صُنِ العِرضَ وابذل كلَّ مالٍ مَلَكتَه ... فَإنَّ ابتذال المال للعِرضِ أصْوَنُ

ولا تُطلِقنْ مِنكَ اللِّسانَ بِسوْءَةٍ ... فَعِندَكَ عوراتٌ وللناسِ ألسُنُ

وعيناكَ إن أبدت إليك معايباً ... بقومٍ فقُلْ يا عينُ للنّاسِ أعيُنُ

---

(١) أخرجه البخاري: ٥٠٩١.

(٢) انظر «تاج العروس» (مادة غمر).

وعاشِرْ بمعروفٍ وسامِحْ مَنِ اعتــدى وَفَـارِقْ ولكنْ بِـالَّتي هـي أحســنُ[1]

قال بعضهم: «إِذا وجَـدْت قسـاوةً في قلبـك، وضـعفاً في بـدنك، وحرمانـاً في رزقك؛ فاعلم أنّك تكلَّمتَ بما لا يعنيـك، فكـلام الشـخص فـيما لا يَعنيـه يُقَـسّي القلبَ، ويُضعِفُ البدن، ويعسِرُ أسباب الرزق».

روى أبو عبيدة عن الحسن أنّه قال: «مِن علامات إعـراض الله عـن العبـد: أن يجعل شُغله فيما لا يعنيه».

(١) الأبيات مِن غير نسبة في «غرر الخصائص» (ص٧٠)، وانظر «فتح الرحيم الرحمن» (ص٣٤٩).

فهرس المصادر والمراجع الواردة في الكتاب

أ-«القرآن الكريم».

ب- التفاسير:

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ).

«جامع البيان في تأويل آي القرآن»، تحقيق محمود شاكر، نشر: دار ابن حزم ودار الأعلام، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ).

«تفسير القرآن العظيم»، تحقيق مجلس التحقيق العلمي بدار الفتح، نشر: دار الفتح - الشارقة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

ج-السنة وعلومها:

ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ).

«سنن ابن ماجه»، اعتنى به أبو عبيدة مشهور حسن سلمان، نشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، لا تاريخ.

أبو بكر أحمد بن عمرو العتكي البزار (ت٢٩٢هـ).

«البحر الزّخار»المعروف بمسند البزار، تحقيق د.محفوظ الرحمن زين الله، نشر: مؤسسة علوم القرآن - بيروت ومكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

أبو بكر بن أبي عاصم أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني (ت٢٨٧هـ).

«الزهد»، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، نشر: دار الريان للتراث - القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ).

«سنن أبي داود»، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر، لا طبعة، لا تاريخ.

أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ).

«صحيح مسلم بشرح الإمام النووي»، نشر: دار الفكر، لا طبعة، لا تاريخ.

أبو سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت٣٦٠هـ).

«المعجم الأوسط»، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، نشر: دار الحرمين - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

«المعجم الكبير»، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، نشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، لا طبعة، لا تاريخ.

أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت٤٣٠هـ).

«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، نشر: مكتبة الخانجي - القاهرة ودار الفكر للطباعة والنشر، لا طبعة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

أبو يعلي أحمد بن علي الموصلي (ت٣٠٧هـ).

«مسند أبي يُعلى»، تحقيق خليل مأمون شيحا، نشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ).

«الزهد»، تحقيق يحيى بن محمد سوس، نشر: دار ابن رجب، الطبعة الثانية٢٠٠٣م.

«المسند»، تحقيق عبد الله درويش، نشر: دار الفكر، لا طبعة، لا تاريخ.

أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ).

«سنن النسائي»، اعتنى به أبو عبيدة مشهور حسن سلمان، نشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، لا تاريخ.

أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ).

«فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، تحقيق ونشر: دار أبي حيان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

فضل الله الجيلاني (ت١٢٩٩هـ).

«فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد»، نشر مكتبة العبيكان - الرياض، لا طبعة ٢٠٠٢م.

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت٢٥٦ هـ).

«الأدب المفرد»، تحقيق سمير بن أمين الزهيري، نشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

«التاريخ الكبير»، نشر: دار الكتب العلمية، لا طبعة، لا تاريخ.

«صحيح البخاري»، تحقيق أحمد محمد شاكر، نشـر: دار الجليل - بـيروت، لا طبعة، لا تاريخ.

محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (ت٧٤١هـ).

«مشـكاة المصـابيح»، تحقيـق محمـد نـاصر الـدين الألبـاني، نشــر: المكتـب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الترمذي (ت٢٧٩هـ).

«سنن الترمذي»، اعتنى به أبو عبيـدة مشـهور حسـن سـلمان، نشــر: مكتبـة المعارف للنشـر، الطبعة الأولى، لا تاريخ.

«الشمائل المحمدية»، تحقيق عصـام موسـى هـادي، نشــر: مؤسسـة الريـان للطباعـة والنشــر والتوزيـع ودار الصـديق للطباعـة والتوزيـع، الطبعـة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (ت١٠٣١هـ).

«فيض القدير شرح الجامع الصـغير»، نشــر: دار المعرفـة للطباعـة والنشــر بيروت – لبنان، لا طبعة، لا تاريخ.

محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ).

«تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشـق للربعـي ومعـه مناقـب الشـام لابـن تيمية»، نشـر: المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

«التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز صحيحه من ضعيفه وشاذه من محفوظة»، نشر: دار باوزير، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

«سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها»، نشر: مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

«سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء بالأمة»، نشر: مكتبة المعارف، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

«صحيح الأدب المفرد»، نشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

«صحيح الترغيب والترهيب»، نشر: مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

«صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند»، أشرف عليه زهير الشاويش، نشر: مكتب التربية العربي بدول الخليج الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

«صحيح سنن أبي داود»، نشر: غراس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢.

«صحيح سنن النسائي باختصار السند»، إشراف زهير الشاويش، نشر: مكتب التربية العربي بدول الخليج، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

«غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام»، نشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٥١).

«صحيح مسلم»، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار الفكر ١٤٠٣ –١٩٨٣م، لا طبعة.

د-العقيدة

أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي (ت ٧٢٨هـ).

«الإِيمان»، نشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

نعمان بن محمد الألوسي (ت١٣١٧هـ).

«جلاء العينين في محاكمة الأحمدين»، نشر: مطبعة المدني، لا طبعة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

هـ-التزكية والرقائق

حسين بن عودة العوايشة.

«وصية مودِّع»، نشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

د.عبد العزيز الحربي.

«تفاصيل الجمل شرح لامية ابن الوَرْديّ»، نشر: مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

عبد الوهاب بن محمد الخطيب الغمري (ت١٠٣١هـ).

«العَـرْف النِّدِّيّ شرح لامية ابن الوردي»، تحقيق حسين بن عـودة العوايشـة، (مخطوط) لـمّـا يُطبع بعد.

مسعود بن حسن بن أبي بكر القناوي (ت بعد ١٢٠٥هـ)

«فتح الرحيم الرحمن شرح نصيحة الإخـوان ومرشـدة الخـلان»، نشــر: دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

مصطفى بن كرامة الله المخدوم.

«العطر الـورْديّ في شرح لاميـة ابـن الـوردي»، نشــر دار كنـوز إشـبيليا - الرياض، لا طبعة، لا تاريخ.

و-السير والتراجم

أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ).

«الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، نشــر: مجلـس دائرة المعارف العثمانية - صيدر أباد / الهند، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت٧٧١هـ).

«طبقات الشافعية الكبرى»، تحقيق د.محمود محمد الطنـاحي ود.عبـد الفتـاح محمد الحلو، نشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ

خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي (ت ١٣٦٩هـ).

«الأعلام»، نشر: دار العلم للملايين، الطبعة العاشرة ١٩٩٢م.

صلاح الدين أيبك بن خليل الصفدي (ت٧٦٤هـ).

«أعيان العصر وأعوان النصر»، تحقيق د.نبيل أبو عمشة، د.علي أبو زيد، د.محمد موعد، د.محمود سالم، نشر دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م.

عبد الحي بن أحمد بن محمد العَكري الحنبلي (ت١٠٨٩هـ).

«شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، تحقيق محمود الأرناؤوط، خرّج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، نشر: دار ابن كثير – بيروت، دمشق، لا طبعة، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

ز-اللغة والمعاجم

ابن الأثير المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري (ت٦٠٦هـ).

«النهاية في غريب الحديث والأثر»، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناجي، نشر: دار الفكر، لا طبعة، لا تاريخ.

ابن منظور جمال الدين محمد مُكرَّم الأنصاري (ت ٧١١هـ).

«لسان العرب»، نشر: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ببيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينيوري (ت٢٧٦هـ)

«غريب الحديث»، نشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ).

«كتاب التعريفات»، نشر: دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

مَجْمَع اللغة العربية بالقاهرة.

«المعجم الوسيط»، نشر مكتبة الشروق، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ).

«القاموس المحيط»، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي (ت١٢٠٥هـ).

«تاج العروس من جواهر القاموس»، تحقيق علي رشدي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لا طبعة، ١٤١٤م - ١٩٩٤م.

فهرس الفوائد الواردة في الشرح

ذم العشق ١٨

علة النهي عن ذكرى ما لا يُجدي ولا يَنفع.................................. ٢١

ذم الهوى، ومشروعية تحري الجمال في الزوجة.................................. ٢١

النهي عن المعازف والتعلق بالمردان.. ٢٢

الحث على اللهو عن اللهو، والاحتيال على الحِيَل، والتغافل عن الغفلـة!......... ٢٣

التعلُّق بالأمرد أخطر مِنَ التعلُّق بالنساء، وعلّة ذلك.............................. ٢٤

ثلاثٌ مهلكات وثلاثٌ منجيات.. ٢٥

الخمرُ أمُّ الخبائث، وأُمُّ الفواحش، وأكبر الكبائر.................................. ٢٦

قولٌ حسنٌ لابن حزم في تسفيه عقل شارب الخمر................................. ٢٦

ثمرات التقوى العاجلةُ في الدنيا... ٢٧

إنّما البطولة التقوى!... ٢٨

تعريفاتٌ للتقوى.. ٢٩

التحذير من الكهنة والعرّافين، والوعيد على إتيانهم................................ ٢٩

تفصيل في معنى «فيَقَرّها في أُذُنِه قَرّ الدجاجة»...................(في الحاشية)٣٠

ذكر نمرود، كنعان، عاد، فرعون، والاعتبار بمصائر الغابرين..................... ٣٤

الحكمة: تعريف وبيان... ٣٨

أفضلية أمّة الإسلام، وعلَّة خيريّتها.................................٣٩
تفسير قولـه –تعـالى-: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾..................٤٠
ذم الكسل...٤٠
فضل طلب العلم...٤١
مزيد في فضل العلم والفقه في الدين.............................٤٣
قاعدة جليلة في معرفة قدرِ الأمر، وطلب الخير، ومجاهدة النفس..............٤٥
حثُّ الناظم على بذل المجهود، وعدم اليأس في طلب العلم بحجة ذهاب العلماء.....٤٦
الدعوة إلى تصحيح اللسان بالنحو...................................٤٨
الحث على العفيف من الشعر، مع التحذير من امتهانه أو الانجرار إلى القبيح منه........٤٨
الشكوى من ذهاب الأفاضل وبقاء الأراذل...............................٥٠
رأي الشاعر في تقبيل اليد...٥٢
فضل القناعة...٥٤
الدعوة إلى الزهد، وذمُّ الدنيا.......................................٥٧
إنّما الحيْلةُ في تَـرْكِ الحِيَـل!.......................................٥٨
ذمُّ البخل ومنعِ الفضل..٥٩
الترهيب من الاتكال على شرف الأنساب...............................٦١
الحث على التكسُّب من الحلال بالأسباب الصحيحة.......................٦٦

الأمر بالجد في تحصيل المنافع والنهي عن صحبة الأراذل.................. ٦٧
القصد والاعتدال في النفقة، ومعانٍ في التبذير والسـرَف.................. ٦٩
فائدة في «إنّ الله يُقيّض للناس...»................................ ٧٣
الدعوة إلى استصحاب الغفلة عن عيوب الناس، ونصوصٌ في ذلك ٧٣
ذم النميمة.. ٧٥
ما يجب على مَنْ حُملت إليه النميمة............................... ٧٦
التوجيه إلى مداراة الجار، وفيه الوصية بالجار........................ ٧٧
مجانبة السلاطين، والحذر مِن بَطْشهم.............................. ٧٩
ذم تولّي القضاء والمناصب.. ٨١
فضيلة قصـر الأمل... ٨٤
الموت والوجَل منه.. ٨٥
القصد في الزيارة، ولطائفُ حديثيةٌ وشعريَّة في ذلك..................... ٨٦
ذم المظهريَّة الجوفاء والنظر القاصر............................... ٨٨
من قصيدة بديعة للعباس بن مرداس في عدم الاغترار بالمظاهر.............. ٨٩
في التعلُّق بالموطن، ومحاسن للاغتراب.............................. ٩٠
التحذير مما ظَاهِرُه اللين أو السهولة وأن ذلك لا يستلزم الضعف أو الهـوان..... ٩٣
عَودٌ إلى ذم المظهريَّة الجوفاء والنظر القاصر.......................... ٩٤

ذمُّ الناظم معاصريه -ونفسَه- بقلَّة العلم والتجربة........................... ٩٥
الأمر بالإعراض عن الاشتغال بأحوال الناس، وبالعكوف على النفس لخلاصها، وذمُّ الاشتغال بما لا يعني.. ٩٥

فهرس المحتويات

المقدمة...٥

تعريف بناظم القصيدة...٨

جهودٌ على لاميّة ابن الورْديّ.....................................١٣

أبيات لامية ابن الورْديّ...١٤

شرح اللاميّة...١٨

فهرس المصادر والمراجع الواردة في الكتاب......................٩٧

مسردٌ تفصيليٌّ للموضوعات والفوائد الواردة في تضاعيف الشرح............١٠٦

فهرس المحتويات...١١٠